فِتن تستوجب العفو والتوبة!!

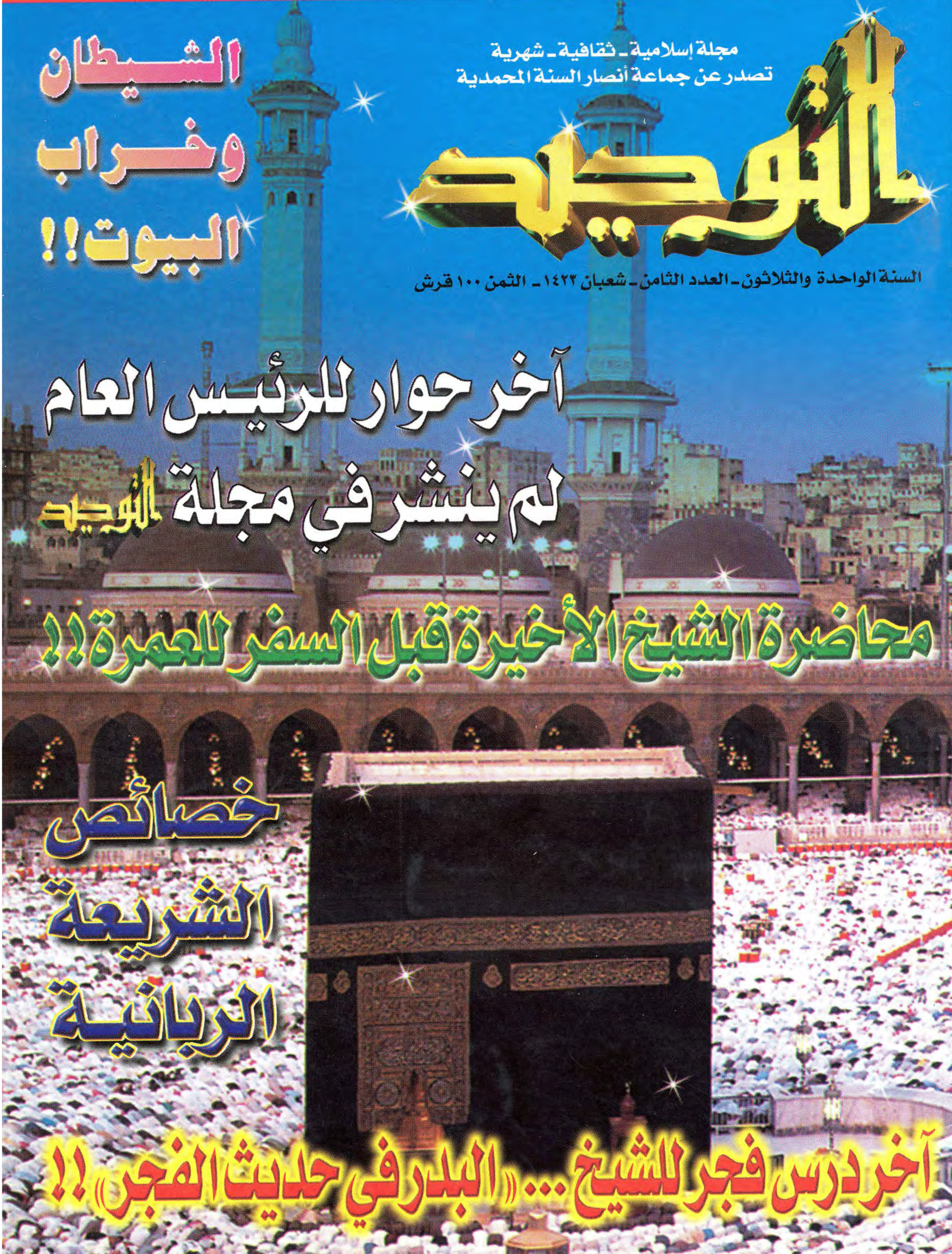

التوحيد

مجلة إسلامية - ثقافية - شهرية
تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية

السنة الواحدة والثلاثون - العدد الثامن - شعبان ١٤٢٢ - الثمن ١٠٠ قرش

الشيطان وخراب البيوت!!

آخر حوار للرئيس العام لم ينشر في مجلة التوحيد

محاضرة الشيخ الأخيرة قبل السفر للعمرة!!

خصائص الشريعة الربانية

آخر درس فجر للشيخ ... «البدر في حديث الفجر»!!

بسم الله الرحمن الرحيم

• صاحبة الامتياز •
جماعة أنصار السنة المحمدية

المشرف العام
د. جمال المراكبي

اللجنة العلمية
زكريا حسيني
جمال عبدالرحمن
مجدي عرفات

التوزيع الداخلي: مؤسسة الأهرام وفروع أنصار السنة المحمدية

الاشتراك السنوي:
١- في الداخل ١٥ جنيهاً (بحوالة بريدية داخلية باسم مجلة التوحيد - على مكتب بريد عابدين).
٢- في الخارج ٢٠ دولاراً أو ٧٥ ريالا سعوديا أو ما يعادلها.
ترسل القيمة بحوالة بنكية أو شيك. على بنك فيصل الإسلامي - فرع القاهرة - باسم مجلة التوحيد - أنصار السنة (حساب رقم / ١٩١٥٩٠).

مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر

السلام عليكم

دعوة لتطبيق الشريعة!!

انظر رعاك الله أيها الأخ الكريم كيف أن شرع الله نقاء وطهارة، وأن المذنب يفضل إقامة حد الله تعالى عليه ليطهر نفسه، وهذا أمر قديم، فالمرأة المخزومية التي سرقت؛ صلحت بعد ذلك وتزوجت، وكانت تنظر إلى يدها فتقول: تبًا لك، كنت ستأخذينني إلى النار!!

فكم من مذنب يريد إقامة الحد عليه؛ لأن الحدود الشرعية زواجر تزجر عن الذنب وجوابر يجبر الله بها الإثم.

فانظر رعاك الله لتعلم كم فقدت الأمة بتضييع شرع الله أن يطبق فيها، فالشرع عند تطبيقه سيسعد به الجميع، حتى المجرم الذي يفعل الجريمة، فتبًا للجهلاء وتبًا لمن سار سيرة الجاهلين.

والحمد لله رب العالمين.

الرئيس العام

التحرير / ٨ شارع قوله - عابدين - القاهرة
ت: ٣٩٣٦٥١٧ فاكس: ٣٩٣٠٦٦٢
قسم التوزيع والاشتراكات ت: ٣٩١٥٤٥٦

المركز العام: القاهرة - ٨ شارع قوله - عابدين
هاتف: ٣٩١٥٥٧٦ - ٣٩١٥٤٥٦

رئيس مجلس الإدارة
محمد صفوت نور الدين
رئيس التحرير
جمال سعد حاتم
مدير التحرير الفني
حسين عطا القراط

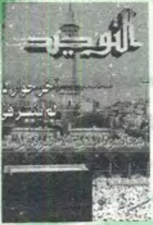

في هذا العدد

الافتتاحية : الشيطان وخراب البيوت	بقلم الرئيس العام	٢
حديث الشهر : خصائص الشريعة الربانية	المشرف العام	٥
باب التفسير : سورة الممتحنة	د. عبدالعظيم بدوى	١٠
باب السنة : رحمه النبى ﷺ بأصحابه	الرئيس العام	١٤
التحذير من التكفير ومن التسرع فيه	على عبدالعزيز الشبل	١٩
قصيدة: يامنبر التوحيد	حسن أبوالغيط	٢١
كلمة التحرير	رئيس التحرير	٢٢
الإعلام بسير الأعلام	مجدي عرفات	٢٦
البدر فى حديث الفجر	الرئيس العام	٢٨
الاحتفال في المساجد بليلة النصف من شعبان	الشيخ علي محفوظ	٣٣
حوار التوحيد مع الرئيس العام		٣٦
كفارة اليمين	الرئيس العام	٤٢
دروس وعبر من تحويل القبلة	فتحي عثمان	٤٦
أطفال المسلمين	جمال عبد الرحمن	٤٨
تدريب العزيمة والاستعداد لرمضان	حسين الدسوقى	٥٠
توصيات مؤتمر العزيز بالله	د. جمال المراكبى	٥١
أسئلة القراء عن الأحاديث	أبوإسحاق الحوينى	٥٣
الفتاوى		٥٦
فتاوى ابن عثيمين		٦١
تحذير الداعية من القصص الواهية	على حشيش	٦٣
عظات وعبر	صلاح عبدالمعبود	٦٨
التوسل بين أهل السنة ومخالفيهم	معاوية محمد هيكل	٦٩
توحيد الأسماء والصفات	أسامة سليمان	٧٠

ثمن النسخة :

مصر جنيه واحد، السعودية ٦ ريالات، الإمارات ٦ دراهم، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمريكى، الأردن ٥٠٠ فلس، العراق ٧٥٠ فلساً، قطر ٦ ريالات، عمان نصف ريال عماني.

البريد الإلكتروني

المجلة	Mgtawheed@hotmail.com
الرئيس العام	Safwat noreldin@hotmail/com
رئيس التحرير	Gshatem@hotmail.com
موقع المجلة على الإنترنت	www.altauhed.com

من مستوجب العفو والتوبة؟!
التوحيد
الشيطان وخراب البيوت!!
آخر حوار للرئيس العام لم ينشر في مجلة التوحيد
الشريعة الربانية

افتتاحية العدد

الشيطان وخراب البيوت!!

بقلم
الرئيس العام

الحمد لله الواحد الأحد، حمى عباده المؤمنين وأولياءه المتقين من كافة الشياطين؛ شياطين الإنس والجن، فبقدر قرب العبد من ربه يحتمي بحمايته وينجو من عدوه.

فإن عداوة الشيطان للإنسان قديمة، أبى السجود لآدم عليه السلام، وتوعد ذريته بالإضلال والفساد. قال تعالى: ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ [فاطر: ٦]، وقال سبحانه: ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لاَ تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ [يس: ٦٠]، وقال عز وجل: ﴿وَإِنْ يَدْعُونَ إِلاَّ شَيْطَانًا مَرِيدًا لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا وَلأُضِلَّنَّهُمْ وَلأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الأَنْعَامِ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُورًا ﴾ [النساء: ١١٧-١٢٠]، وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلاَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٢١].

وقال عز وجل: ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنْسَانِ خَذُولاً﴾ [الفرقان: ٢٩].

وقد حصن الله العبد ضد الشيطان بالإخلاص، ومتابعة المرسلين، ودوام الذكر، ولزوم الجماعة، وبين سبحانه وتعالى أن الفرقة والاختلاف والعداوة طريق الشيطان؛ لحديث مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب، ولكن في التحريش بينهم».

وفي حديث أبي هريرة عند أحمد مرفوعا: إن الشيطان قد أيس أن يعبد بأرضكم هذه ولكنه قد رضي منكم بما تحقرون (٣٦٨/٢/٨٧٩٦)

وعند الترمذي من حديث عمرو بن الأحوص في روايته لخطبة حجة الوداع قال ﷺ: «ألا وإن الشيطان قد أيس من أن يعبد في بلادكم هذه أبدًا ولكن ستكون له طاعة فيما تحقرون من أعمالكم فسيرضى به».

«إن إبليس يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه يفتنون الناس، فأعظمهم عنده منزلة أعظمهم فتنة، يجيء أحدهم فيقول : فعلت كذا وكذا، فيقول: ما صنعت شيئًا، قال: يجيء أحدهم فيقول: ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته، فيدنيه ويقول: نعم أنت، ويلتزمه».

والشيطان يصوب سهامه إلى ما يحقق له من الإنسان غرضه: ﴿إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٦]، وإن صلاح الأمة بصلاح البيوت والمساجد.

لذا فإنه يصوب سهامه ليفرق بين الأرحام في البيوت وينشر الخلاف بين المصلين في المساجد، فحيله على البيت الذي دعمه الله تعالى بالدعائم الفطرية وعمق روابطه بالأسس الشرعية حيل كثيرة.

فالله جعل الدعائم الفطرية في البيت من السكن والمودة والرحمة: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾ [البقرة: ١٨٧].

ومن الدعائم الفطرية ميل الوالدين وحبهما للأولاد.

والدعائم الشرعية تظهر في نيل الأجر لمن قام برعاية الولد وبر الوالدين والإحسان إلى الزوجة وطاعة الزوج، حتى جعل اللقمة تضعها في في زوجتك لك عليها أجر، وإن في بضع أحدكم لصدقة.

ومن سهام الشيطان سهام في الإغراء بتقطيع الأرحام وعقوق الوالدين، وترك الأولاد بغير توجيه شرعي، وأشد ذلك سهامه التي صوبها لإيقاع الشقاق بين الزوجين.

وإن مجالس الناس في البيوت إما أن تستصحب فيها الملائكة أو تستضاف فيها الشياطين.

ومجالس الذكر تبحث عنها الملائكة فيتنادون: هلموا إلى بغيتكم فيحفونهم بأجنحتهم، وهذه المجالس يمكن أن تقام في المساجد أو في المدارس أو في البيوت أو في الطرقات.

لذا علم النبي ﷺ المسلم عند دخوله البيت: «إذا دخل أحدكم إلى بيته فلم يذكر اسم الله قال الشيطان: أدركتم المبيت، فإذا جلس إلى طعامه فلم يذكر اسم الله، قال الشيطان: أدركتم المبيت والعشاء».

فمن أراد أن يستضيف الملائكة فليجعل مجالسه في البيت مجالس الذكر فلا يحرم بيته من الصلاة؛ لحديث النبي ﷺ : «اجعلوا من صلاتكم في بيوتكم، ولا تجعلوها قبورًا». فيصلي الفريضة في الجماعة في المسجد ثم يرجع إلى بيته ليصلي به النافلة، كما يصلي في بيته الضحى وقيام الليل وغير ذلك من النوافل. وإذا دخل إلى بيته أفشى السلام على أهله وحرص على ذكر ربه حال الدخول والخروج في كافة أحواله.

أخرج مسلم في صحيحه عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة».

ومن استضاف الشيطان في بيته فإنما يستحل الشيطان دخول بيته بإعراضه وأهله عن الذكر حال الدخول وحال الطعام والشراب وحال النوم وحال الجماع.

ولقد أخرج مسلم في صحيحه عن حذيفة رضي الله عنه قال: كنا إذا حضرنا مع النبي ﷺ طعامًا لم نضع أيدينا حتى يبدأ رسول الله ﷺ فيضع يده وإنا حضرنا معه مرة طعامًا فجاءت جارية كأنها تدفع فذهبت لتضع يدها في الطعام، فأخذ رسول الله ﷺ بيدها، ثم جاء أعرابي كأنما يدفع، فأخذ بيده، فقال رسول الله ﷺ: «إن الشيطان يستحل الطعام أن لا يذكر اسم الله عليه، وإنه جاء بهذه الجارية ليستحل بها، فأخذت بيدها، فجاء بهذا الأعرابي ليستحل به، فأخذت بيده، والذي نفسي بيده إن يده في يدي مع يدها».

والشيطان إذا دخل مع الرجل بيته عبث به وبأهل بيته وأكثر الوسوسة، فيشوه جمال زوجته في عينه، ويرى زوجته منه الحسن سيئًا، والطيب رديئًا، والجميل قبيحًا، والكثير قليلاً، والعذب مريرًا، فتكفر الزوجة العشير،

وهذا لها طبع يقع منها كثيرًا، ولكن العجب الشديد أن يقع الزوج في ذلك، فيكفر العشير، فلا يرى من زوجته إلا القبيح، ويخفي الشيطان عنه كل طيب فلا يرى إلا السيئ.

والرسول ﷺ يقول: «إنهن خلقن من ضلع، وأن أعوج شيء في الضلع أعلاه،وإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن استمتعت بها استمتعت بها وفيها عوج، إن كرهت منها خلقًا رضيت منها غيره».

الشيطان يتخذ من بني الإنسان أعوانًا على الفساد والإفساد

وصية رسول الله ﷺ في حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه: «أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة، وإن تأمر عليكم عبد، إنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة».

إن أوثق الحقوق على الرجل بعد حق الله في عبادته وتوحيده- حق أمه؛ لقوله ﷺ- حين سُئل-: من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: «أمك». قال: ثم مَن؟ قال: «أمك». قال: ثم مَن؟ قال: «أمك». قال: ثم من. قال: «ثم أبوك».

وإن أوثق الحقوق على المرأة- بعد حق الله- حق زوجها، فأيما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة.

لذا تسلط الشيطان في البيوت بالعقوق والعصيان والهجر والكفران، حتى صارت البيوت جحيمًا على ساكنيها وغابت المودة والرحمة.

ولقد جعل الله العقد للزواج ميثاقًا غليظًا يربط بكلمة من ولي الزوجة مع الزوج، ثم جعل حله من الزوج وحده لا ينزع منه، وإن جاز أن يوكل فيه غيره، وأن يسحب ذلك التوكيل ويلغيه.

وجعل رب العزة باب توثيق الكلام وتصديقه في ذكره سبحانه، فأباح الحلف باسمه وصفاته وأفعاله وكل ما يدل عليه، ثم حظر الحلف بغير ذلك، فمن كان حالفًا فليحلف بالله أو ليذر، ثم لم يجعل الحلف الذي يحلفه المسلم على أمر في مستقبل أيامه حجرًا يحجر به على السلوك الحسن والتصرف المشرق حتى قال سبحانه: ﴿وَلاَ تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٤].

لكن الشيطان جاء للناس من هذا الباب، وجعلهم يعرضون عن الحلف بالله للحلف بغيره، فزين لهم الشيطان الحلف بالآباء والأمهات والأنبياء والأولياء والأطعمة والنعم والموتى، فتنوع حلفهم غير المشروع تنوعًا عجيبًا فاق الوصف، حتى صرت لا تكاد تجد من يحلف بالله سبحانه، إلا من رحم ربي.

ثم أدخل عليهم بابًا جديدًا من الحلف، وهو الحلف بالطلاق والعتاق، وإن كان العتق من باب القربات، فليس الطلاق كذلك، فإنك إذا سمعت من يستفتي أحدًا من أهل العلم في شأن بيته وما يقع فيه وجدت عجبًا من التفنن في الطلاق والتحريم وتضييق ما وسع الله.

ويستخدم في بيع السلعة في الأسواق الحلف بالطلاق، وفي مخاطبة الوالدين جرأة في الحلف بالطلاق، في تهذيب الولد الحلف بالطلاق، وفي مخاطبة الجار والقريب والبعيد حلف بالطلاق، حتى صار العزب يحلف بالطلاق، وتجرأت المرأة كذلك عليه، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

بل تجد المرأة تتحدى زوجها قائلة: إن كنت رجلاً فطلقني، بعد أن طالت العشرة وأنجبت منه تقول له: إن كنت رجلاً، فمن يعرف رجولته إن لم تكن زوجته؟!!

وأعجب من ذلك أن الشيطان يستهويه ليثبت لها رجولته فيقول لها: أنتِ طالق. هذه البيوت فتحناها للشياطين فقاموا بتخريبها، ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم، فهل من عقل يرجع إلى الناس ودين يلتزمونه ليعلموا بما يرضي ربهم، وإلى الله المرجع والمصير.

والله من وراء القصد.

خصائص الشريعة الربانية

بقلم
د. جمال المراكبي

إذا كانت الشريعة الإسلامية ربانية من حيث المصدر والوجهة والغاية، فإنها أيضا شريعة إنسانية، فهي تخاطب الإنسان وتكرم الإنسان وتوائم وتلائم بين الجانب الروحي وبين الجانب المادي الغريزي في الإنسان.

وإذا كان المصدر ربانيا، فإن الإنسان هو الذي يتفهم هذا المصدر. وهو الذي يستنبط منه كما سبق أن بينا حين تحدثنا عن الاجتهاد، وهو ما أسميناه بالتشريع ابتناء لا ابتداء.

وإذا كانت هناك بعض المذاهب والفلسفات التي تهتم بالإنسان، إلا أنها جميعا لا تبلغ في ذلك مبلغ الإسلام، فهي لا تعرف الإنسان معرفة كاملة، بل دائما تنظر إليه من جهة معينة ومن جانب واحد، مغفلة في نظرتها باقي الجوانب والزوايا في حياة الإنسان.

وبنظرة سريعة على المذاهب والفلسفات والنحل التي ما تزال قائمة نجد أن منها ما ينظر إلى الجانب الروحي للإنسان غير عابئ بجانبه الحسي أو المادي، ومنها ما ينظر إلى الجانب المادي للإنسان غير عابئ بجانبه الروحي فلا يعترف بالإنسان إلا ترسا في آلة.

ومن هذه المذاهب ما يعطي الإنسان الفرد من الحقوق والحريات ما يطلق له العنان بلا حدود ولا قيود، ومنها ما يكبل الإنسان ويقيده ويحطم إنسانيته ويحرمه من مجرد الهمس، وفي النهاية لا نكاد نجد نظاما أو مذهبا يتعامل مع الإنسان من حيث هو إنسان كما يتعامل الإسلام، بما يتسم به من خصائص ومميزات:

١.الوسطية

الوسطية سمة من سمات الشريعة الخالدة فقد تتعامل شريعة من الشرائع أو مذهب من المذاهب مع التطرف القائم بتطرف مضاد حتى تحد منه وتقضي عليه، فإذا ما تسنى لها ذلك، فلابد أن ترجع عن تطرفها العلاجي إلى الوسطية والتوازن. والشريعة الخالدة لذلك منزهة عن التطرف، فهي شريعة وسط متوازنة.

وكذلك أمة الإسلام أمة وسط، فالشريعة هي التي تصنع الأمة، والأمة هي التي تقيم الشريعة، لذا كانت الأمة الوسط هي التي تقيم الشريعة الوسط ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة:١٤٣].

والوسط هو الخيار والأجود، يقال قريش أوسط العرب نسبا، وكان النبي ﷺ وسطا في قومه أي أشرفهم نسبا، ويقول النبى ﷺ فأسألوا الله الفردوس الأعلى فهو أوسط الجنة وأعلى الجنة. وعلى هذا تكون هذه الأمة أوسط الأمم وأفضلها، وتكون شريعتها خير الشرائع وأوسطها، لأنه لما جعل الله هذه الأمة وسطا خصها بأكمل الشرائع وأقوم

المناهج وأوضح المذاهب.

والوسط هو العدل، قال ابن حجر: هو مرفوع من نفس الخبر، أي تفسير الوسط بالعدل مرفوع للنبي ﷺ في أكثر من رواية.

وعلى هذا تكون هذه الأمة هي أعدل الأمم، وتكون شريعتها أعدل الشرائع. قال ابن جرير: والذي أرى أن معنى الوسط في الآية الجزء الذي بين الطرفين والمعنى أنهم وسط لتوسطهم في الدين فلم يغلوا كغلو النصارى، ولم يقصروا كتقصير اليهود، ولكنهم أهل وسط واعتدال.

والآية كما يرى ابن حجر تحتمل كل هذه التفسيرات فلا تعارض بينها ولما كانت هذه الأمة هي أوسط الأمم وخصها الله بأوسط الشرائع والمناهج ومنحها بذلك أهلية الشهادة على من سواها من الأمم السابقة عليها ﴿هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [الحج:٧٨].

٢.الوضوح

تتميز شريعة الإسلام بالوضوح التام، الوضوح في الأصول والعقائد، والوضوح في الشرائع، والوضوح في الغايات والأهداف، والوضوح في المناهج والطرق(٨) وترجع سمة الوضوح أساسا إلى وضوح المصدر الذي تستقي منه أحكام الشرائع ألا وهو الكتاب والسنة، فالكتاب الكريم المنهاج الحق المبين لا خلاف عليه، ولا خلاف فيه، صانه الله تبارك وتعالى عن التبديل والتغيير، ويسره وسهله للذكر ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾ [القمر:١٧] ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر:١٩] وسنة المصطفى صلوات ربي وسلامه عليه واضحة جلية رغم محاولات أعداء الدين تشويهها وخلطها بما ليس منها للتلبيس على الناس، ولكن الله تعالى حفظها ووفق أناسًا لتدوينها وتمييز صحيحها من سقيمها.

وأحكام الإسلام، لا تقتصر معرفتها على بعض الناس دون غيرهم، فهي ليست أحكاما كهنوتية تدرس بين جدران المعابد، ويتوارثها الأبناء عن الآباء ولا يجوز لأحد غيرهم أن يطلع عليها، ولكنها أحكام واضحة جلية في مصادر ثابتة واضحة تدعو كل من عنده قلب وعقل وفهم ليعيها ويعمل بها ويعلمها غيره.

«خيركم من تعلم القرآن وعلمه»، «طلب العلم فريضة على كل مسلم».

ولكن الناس يتفاوتون في سعة مداركهم ومقدار أخذهم واستيعابهم لأحكام هذه الشريعة، فمنهم العلماء العاملون المجتهدون، ومنهم الحفاظ الناقلون، ومنهم المعرضون عن الحق والخير، وفي بيان ذلك يضرب النبي ﷺ المثل فيقول: «إن مثل ما بعثني الله به من الهدي والعلم كمثل غيث أصاب أرضا، فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكان منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماءا ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه الله بما بعثني به فعلم وعلّم، ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدي الله الذي أرسلت به».

خيركم من تعلم القرآن وعلمه. وطلب العلم فريضة على كل مسلم ولكن الناس يتغاوتون فى سعة مداركهم ومقدار أخذهم واستيعابهم لأحكام هذه الشريعة !!

وأحكام الإسلام تنقسم إلى قسمين رئيسيين.

١ ـ قسم يجب على كل المكلفين معرفته ولا يسع المسلم في الظروف العادية أن يجهله، مثل أركان الإيمان والاعتقاد، وأحكام الصلاة والطهارات... إلخ.

٢ ـ وقسم لا يجب على كل المكلفين معرفته، وإنما يجب على مجموع المكلفين أن يكون من بينهم من يعلمه، ويسمون أهل الذكر الذين قال الله فيهم ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [النحل:٤٣].

أما القسم الأول فهو فرض عين على كل مسلم مكلف، وأما القسم الثاني فهو فرض كفاية إذا قام به البعض سقط عن الباقين، لذلك لم يأمر الله تعالى الجميع بالسفر لطلب العلم، ولكن أمرهم أن يسافر بعضهم لطلبه ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلاَ نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ﴾ [التوبة:١٢٢].

٣.الثبات والمرونة

الشريعة الإسلامية هي الشريعة الخاتمة الخالدة نسخت كل الشرائع، وبقيت ثابتة خالدة لا تنسخها شريعة أخرى حتى يرث الله الأرض ومن عليها، فهي شريعة ثابتة راسخة لا تتغير ولا تتبدل.

والثبات مطلب عزيز وغال، يمنح الشريعة شرعية قوية ثابتة ويعطيها من الاحترام والتقديس الكثير، ولكنه في ذات الوقت يصم الشريعة بالجمود أمام ما يعن من حوادث وقضايا، والجمود عيب كبير في الشرائع التي تصاب به.

وجميع التشريعات والقوانين تسعى لحل هذه المشكلة بالتغيير والتعديل، والتغيير مطلب ملح لمواجهة الحوادث المتجددة والمتغيرة، ولكنه يصم الشريعة بعيب كبير، وهو عدم الاستقرار بما يشعر الناس بالقلق الدائم والخوف من المستقبل.

ولا شك أن التوفيق بين الثبات والمرونة أمر في غاية الصعوبة. وهو يمثل مشكلة من أكبر المشاكل التي تواجه صناع القوانين، فالثبات يستلزم الجمود والتغيير يعني عدم الاستقرار.

ولقد استطاعت الشريعة الربانية التغلب على تلك المشكلة المعضلة فهي الشريعة الوحيدة التي استطاعت أن تجمع بين الثبات والمرونة في آن واحد، فلقد طبقت هذه الشريعة منذ أكثر من أربعة عشر قرنا من الزمان، فإذا ما نظرت إليها وطبقتها الآن أحسست أنها وليدة العصر الذي نعيش فيه، وهذه هي المعجزة الربانية الكبرى.

ولكن كيف تغلبت الشريعة الربانية الخاتمة والخالدة على هذه المشكلة، أعني مشكلة الجمع بين الثبات والمرونة؟

إن شريعة الإسلام التي ختم الله بها الشرائع، قد أودع الله فيها عنصر الثبات والخلود وعنصر المرونة والتطور في آن واحد، ويمكن أن نحدد مجالات الثبات ومجالات المرونة في هذه الشريعة إجمالا في عدة أمور: فالثبات يكون على الأصول والكليات، والمرونة في الفروع والجزئيات، والثبات يكون على الأهداف والغايات، والمرونة في الأساليب والوسائل، الثبات على القيم الدينية وأمور العبادات، والمرونة في الشئون الدنيوية من التعاملات والسياسات.

الثبات على المصادر الرئيسية من قرآن وسنة، والمرونة فيما عدا ذلك من مصادر

إن شريعة الإسلام التى ختم الله بها الشرائع قد أودع الله فيها عنصر الثبات والخلود وعنصر المرونة والتطور فى آن واحد

فرعية متجددة كالعرف والمصلحة والقياس والاستحسان.

وعلى هذا يمكن تقسيم أحكام الشريعة الإسلامية إلى قسمين رئيسيين. قسم يمثل الثبات وقسم يمثل المرونة والتطور، وهذا ما عبر عنه ابن القيم حيث قال: الأحكام نوعان:

نوع لا يتغير عن حالة واحدة هو عليها، لا بحسب الأزمنة ولا الأمكنة ولا اجتهاد الأئمة، كوجوب الواجبات وتحريم المحرمات، والحدود المقدرة شرعا.

والثاني يتغير بحسب اقتضاء المصلحة له زمانا ومكانا وحالا كمقادير التعزيرات وأجناسها وصفاتها، فإن الشارع ينوع فيها حسب المصلحة، فشرع التعزير بالقتل لمدمن الخمر في المرة الرابعة، وأخبر عن تعزير مانع الزكاة بأخذ شطر ماله.. الخ. فيدخل في القسم الأول ما ثبت بدليل قطعي كالقرآن والسنة المتواترة والإجماع ويدخل في القسم الثاني ما ثبت بدليل ظني كاجتهاد أو نحوه.

ويدخل في القسم الأول ما كانت دلالته على معناه دلالة قطعية، ويدخل في القسم الثاني ما كانت دلالته على معناه دلالة ظنية ويمكن أن نضرب بعض الأمثلة على ما سبق وبيناه إجمالا:

١ - القرآن الكريم يأمر بالشورى ويحث عليها «وشاورهم في الأمر» ويمتدح المجتمع المسلم لالتزامه بالشورى «وأمرهم شورى بينهم»، ولكن القرآن الكريم والسنة المطهرة ليس فيهما إلزام بشكل معين ولا أسلوب محدد للشورى، بل الأمر متروك في ذلك لظروف الزمان والمكان فالأمر بالشورى ثابت لا يتغير، وطريقة الشورى وأسلوبها من المرونة بمكان بحيث تخضع لظروف الزمان والمكان.

القرآن الكريم يأمر بالشورى ويحث عليها، ويمتدح المجتمع المسلم لالتزامه بالشورى، ولكن القرآن والسنة المطهرة ليس فيهما إلزام بشكل معين ولا أسلوب محدد للشورى !!

٢ - القرآن الكريم يأمر بالعدل والقسط «وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل»، و«لا يجرمنكم شنئان قوم على ألا تعدلوا، اعدلوا هو أقرب للتقوى» فأوجب الله تبارك وتعالى الالتزام بالعدل في المجتمع المسلم، والعدل الكامل حتى مع الأعداء، ولا يسمح بأي تهاون أو تساهل في إقرار العدل ومنع الظلم وهذه هي دائرة الثبات فلا يستطيع أحد تغيير حكم الشرع في الأمر بالتزام العدل ومنع الظلم لأنه ظلمات يوم القيام.

والنصوص لم تتقيد بشكل معين لنشر العدل، ولا لأساليب التقاضي بين الناس بل إن هذا متروك لظروف الزمان والمكان والمصلحة، وهذه هي دائرة المرونة.

والأمثلة على ذلك كثيرة في الكتاب والسنة:

وهكذا نجد أنفسنا مقيدين بالتزام أحكام الكتاب والسنة الثابتة التي لا تزال قائمة ما قامت هذه الشريعة، ومع هذا التقيد نجد أن هناك مجالا واسعا فسيحا للاجتهاد والتشريع، وهذا يكون كما بينا في دائرتين.

أولا: ما لم يرد فيه نص من كتاب أو سنة، وهي ما يمكن أن يطلق عليه منطقة الفراغ التشريعي، فقد ترك الشارع الحكيم هذه المنطقة وهي ما يطلق

عليه بعض الفقهاء «العفو» لقول النبي ﷺ: «ما أحل الله في كتابه فهو حلال، وما حرم فهو حرام، وما سكت عنه فهو[٧] عفو فاقبلوا من الله عافيته فإن الله لم يكن لينسى شيئا وقرأ «وما كان ربك نسيا».

ثانيا: النصوص المتشابهة - ظنية الدلالة - التي تحتمل أكثر من تأويل سائغ وأكثر من فهم وأكثر من رأي وفي هذا فسحة وسعة.

ولهذا نجد كبار الفقهاء ينصون على تغير الأحكام بتغير الزمان والمكان، وكانوا يسيغون تغير الاجتهاد في المسألة الواحدة من وقت لآخر، ويقول قائلهم ذاك على ما قضينا، وهذا على ما نقضي.

وقد كان للشافعي مذهبان أحدهما القديم في العراق، والآخر الحديث في مصر حيث تتغير ظروف المكان.

وقد عقد ابن القيم فصلا في تغير الفتوى بحسب ظروف الزمان والمكان قال فيه: هذا فصل عظيم النفع جدا وقد وقع بسبب الجهل به غلط عظيم على الشريعة، أوجب من الحرج والمشقة وتكليف ما لا سبيل إليه ما يعلم أن الشريعة الباهرة التي في أعلى رتب المصالح لا تأتي به، فإن الشريعة مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد. فهي عدل كلها ورحمة كلها ومصالح كلها وحكمة كلها، فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور وعن الرحمة إلى ضدها وعن المصلحة إلى المفسدة وعن الحكمة إلى العبث، فليست من الشريعة وإن أدخلت فيها بالتأويل... ثم يدلل ابن القيم على كلامه المجمل بذكر أمثلة عديدة يطول المقام جدا إن استقصيناها.

٤.الشمول

والشمول من لوازم ومتطلبات الخلود، فالشريعة الإسلامية الخالدة ما نزلت إلا لتطبق في كل مكان وزمان، وكل من يتفهم دعوة الإسلام ووجوب نشرها وتبليغها يعلم يقينا أن الشريعة الإسلامية هي الشريعة الصالحة للتطبيق في كل مكان، ولا شك أن سريان أحكام هذه الشريعة على معظم بلدان العالم قديما في آسيا وإفريقيا وأوربا يؤيد هذا القول، والشريعة الإسلامية الخالدة هي الشريعة الصالحة للتطبيق في كل وقت وزمان، فهي خاتمة الشرائع، نسخت كل الشرائع، ولا تنسخها شريعة وقد سبق أن بينا ذلك من قبل.

ولا تقتصر جوانب الشمول في هذه الشريعة على صلاحيتها لكل زمان ومكان، بل إن للشمول جوانب أخرى منها:

أن شريعة الإسلام تشمل كافة الجوانب التي يتعرض لها الإنسان في حياته، فهي عقيدة وشريعة وأخلاق، ولا تقتصر على جانب المعاملات بين الناس فحسب، بل تشمل معاملة العبد لربه ومعاملته لنفسه ومعاملته لغيره على السواء.

وهي تشمل الإنسان في جميع أطوار حياته، وبعد مماته، وحتى وهو جنين في بطن أمه.

وهي تشمل جميع المكلفين، ولا يستثنى أحد أيا كان من الخضوع لأحكامها حتى الإمام الأعظم نفسه فهو أحد المكلفين، بل هو أثقل المكلفين حملا.

والله من وراء القصد.

إن شريعة الإسلام تشمل كافة الجوانب التى يتعرض لها الإنسان فى حياته فهى عقيدة وشريعة وأخلاق ولا تقتصر على جانب المعاملات بين الناس !!

باب التفسير

سورة الممتحنة

الحلقة الثانية

بقلم: د. عبدالعظيم بدوي

قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلاَّ قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ. رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ. لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ. عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ. لاَ يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ. إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلاَ تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لاَ هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلاَ هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُم مَّا أَنفَقُوا وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلاَ تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَاسْأَلُوا مَا أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنفَقُوا ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾(الممتحنة ٤-١٠).

تفسير الآيات

بعد أن انتهينا في عدد سابق من تفسير الآيات الثلاث من أول السورة، نقول: إن الله تعالى أمر المؤمنين بالتأسي بأبيهم إبراهيم وإخوانهم المؤمنين معه، في تَبَرئِهم من الكفَّار فقال: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ أي قالوا لهم: كفرنا بدينكم وطريقكم، وقد شرعت العداوة والبغضاء من الآن بيننا وبينكم ما دمتم على كفركم فنحن أبدًا نتبرأ منكم ونبغضكم ﴿حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ وتتركوا ما تعبدون معه من الأوثان والأنداد.

ولما أمر الله المؤمنين بالتأسي بإبراهيم والذين معه استثنى من ذلك استغفار إبراهيم لأبيه، فقال: ﴿إِلاَّ قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ وإنما نهاهم عن التأسي به في ذلك لأنه ﴿مَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ إِلاَّ عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾

[التوبة:١١٣،١١٤]. فلا يستغفرنّ مسلمٌ لمشركٍ محتجًا باستغفار إبراهيم لأبيه، ولذا قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ. وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ إِلاَّ عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة:١١٣،١١٤]. ثم أخبر تعالى عن إبراهيم والذين معه أنهم لما تبرءوا من قومهم توجّهوا إلى الله بالدعاء فقالوا: ﴿رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ يقولون: ربّنا عليك توكلنا في جميع أحوالنا، وأسلَمْنا إليك أمورَنا، وفوَّضْناها إليك، وإليك أنَبْنا أيْ رجعنا، وإليك المصير، وإليك المنتهى. ﴿رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي لا تمكنّهم منّا فيفتنونا عن ديننا، ويردّونا على أعقابنا، ولا تَنْصُرْهُم علينا فَيُفْتَنُون هم، حيث يقولون: لو كانوا على الحقّ ما نصَرنَا اللهُ عليهم. ﴿وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا﴾ ما بيْننا وبيْنَك ﴿وَلاَ تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [آل عمران:١٩٤]. ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ أنت العزيز القاهر فوق عباده، ﴿الحكيم﴾ في تصرفاته وأفعاله، وشرعه وقدره.

ومرة ثانية تقرر الآيات الأسوة في إبراهيم والذين معه، فيقول تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ كما قال تعالى ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ. وَقَالَ مُوسَى إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [إبراهيم:٧،٨].

ولما كان من الصعب على النفس هجرُ الأهل والإخوان فتح الله باب الأمل أمام المؤمنين الذين أمرهم بعداوة الكافرين فقال: ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً﴾ وذلك بدخولهم في الإسلام، ﴿وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ [إبراهيم:٢٠]. ﴿وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ يغفر للكافرين كفرهم إذا تابوا منه وأنابوا إلى ربّهم. وأسلموا له، وهو سبحانه رحيم بكل من تاب إليه من أيّ ذنب كان. ونحن نُشْهد اللهَ أنّا تُبْنا إليه، ونرجوه سبحانه أن يَغْفِرَ لنا ويرحمنا، إنه هو الغفور الرحيم.

نهى الله تعالى عن موالاة الكفار ولو كانوا أولي قربى لكنه لم ينه عن البر والقسط في معاملتهم

لما نهى الله تعالى المؤمنين عن موالاة الكافرين، تحرَّجوا من هذا النهي، وظنّوا أنه يدخل فيه النهي عن البّر والصلة وحسن المعاشرة، حتى أن أسماءً بنت أبي بكر رضي الله عنها جاءتْها أمُّها فرفَضَتْ أن تدخلها بيتها حتى جاءتْ رسولَ الله ﷺ فقالت: يا رسولَ الله، إنّ أمّي قَدِمتْ وهي راغبةٌ، أفأصِلُها؟ قال: «نعم صِلِي أمّكِ». ولو كانت كافرةً، ولو كانت مشركةً وفي ذلك يقولُ ربّنا سبحانه: ﴿لاَ يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ. إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

فجعل الله سبحانه الكفار قسمين: مسالمين ومحاربين، فالمسالمون الذين ﴿لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ﴾ قد أحسنوا بهذا، وتكون معاملتهم بالرِّفْق واللّين، رجاءَ إسلامهم، أوْ على الأقل رجاءَ أن يكفُّوا أيديَهم ويستمروا على عدم إيذاء المؤمنين. فالإسلام لا يعادي الناس، إنما يريدُ أن يُفْسحَ المجال وَيفتح الطريق أمام من يريدُ الدخول فيه، وما دام الكفّار لا يقفون في وجه الإسلام. ويفسحون له الطريق ليصل إلى الناس، فلا مانع من برّهم والإحسان إليهم. شريطة أن لا يفقدَ المسلمُ غَيْرَتَه على دينه، فيجد في قلبه مودةً لهؤلاء الكفار، فالمودةُ شيءٌ، وحُسْنُ المعاملة شيءٌ آخر، فالله الذي أذِن لنا في برّ مسالمي الكفار؛ هو الذي نهانا عن موالاة الجميع في مطلع السورة حيث قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ وأما حسن المعاملة، وأما البّر والصلة فـ ﴿لاَ يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ --ولهذا قال النبي ﷺ لأسماء: «صِلِي أمّك». وأمر الله الولدَ المسلمَ بمصاحبة الوالدين المشركيْن بالمعروف، ولو كانا حريصيْن على شِرْكه، قال تعالى: ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلاَ تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان:١٥]. ﴿إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ﴾ برّ ﴿الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ﴾ كما ينهاكم ﴿أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ والظلم ظلمان: ظلم هو كفر وشرك، كما قال تعالى: ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة:٢٥٤]. وقال تعالى ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان:١٣]، وظلم هو معصية لا يخرج من الملة، كما قال: الأبوان لما أكلا من الشجرة التي نهاهما عنها ربهما ﴿قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف:٢٣]، فعلى حسب الولاية يكون الظلم، فقد يكون كفرًا، وقد يكون معصية.

الإسلام لا يعادي الناس، إنما يريد أن يفسح الطريق أمام من يري الدخول فيه !!

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلاَ تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ﴾ هذا استثناءٌ من الله تعالى مما كان أعطاه الرسول ﷺ المشركين في صلح الحديبية، وهو أنَّ مَنْ جاء منهم إلى النبيّ ﷺ ردّه عليهم، فاستثنى اللهُ مِنْ هذا الشرط النساءَ لضعفهنّ، ولِما يُخْشَى عليهنّ من الفتنة بردّهن، فكانت أمُّ كَلثوم بنتُ عقبةَ بن أبي مُعْيَطٍ ممن خرجَ إلى رسولِ الله ﷺ يومئذٍ لما نزل فيهنّ ﴿إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان النبي ﷺ يَسْتَحْلِفُ المهاجرة: باللّهِ ما خَرجت كراهية في زوجك؟ باللّهِ ما خرجت رغبة في رجلٍ من المسلمين؟ باللّهِ ما خرجتِ كراهيةً من أرض وحبًا في أرض؟ باللّهِ ما خرجتِ إلا حُبًا لله ورسوله؟ فإذا حلفت قُبِلَتْ وقُبِلَ إيمانها. قال العلماء: وإنما أمرنا الله بامتحان النساء دون

الرجال لأنّ الإسلام يكلّفُ الرجال بالجهاد والتضحية، فمن هاجر وهو عالم بما سيتحمله من المشاقّ بسبب إسلامه، فذاك أكبرُ دليل على صدقه، أما المرأةُ فلا تكلّفُ ما يتكلّفه الرجال، فربّما هاجرت كراهيةً لزوج وطمعًا في آخر، ولذلك روى أنه كانت المرأةُ إذا أغْضَبَها زوجُها تهدّده بالهجرة فتقول واللهِ لأهاجرنّ إلى محمد فلذا أمر اللهُ تعالى المؤمنين بامتحان من جاءهم من النساء، فقال: ﴿إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ﴾ وقد سبق ذِكْرَ ابنِ عبّاس لصفة الامتحان، ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلاَ تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ﴾ والإيمان محلّه القلوب، ولا يطلع على القلوب إلا علّامُ الغيوب، ففي هذه الآية إرشادٌ إلى قبول الظاهرِ بعد بذلِ الجهد في الوصول إلى صدق الظاهر، حتي يكون موافقًا للباطن، ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ﴾ حسب ظنكم، وإلا فأنتم لا تستطيعون العلمَ الحقيقي، ولذا قدّم تعالى ذكر علمه على ذِكْر علم المؤمنين، فقال تعالى ﴿فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلاَ تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لاَ هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلاَ هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ فإذا أسلمتِ المرأةُ حُرِمَت على المشرك، فلا يجوزُ لمشركٍ أن ينكح مسلمةً، لأن الإسلام يعلو ولا يُعلَى عليه، وإذا تزوّج المشركُ مسلمةً فقد علاها بسلطانه وهيمنته، وهذا لا يجوز ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً﴾ [النساء:١٤١].

إذا أسلمت المرأة حرمت على المشرك لأنه يعلوها بسلطانه وهيمنته، والإسلام يعلو ولا يُعلى عليه !!

﴿وَآتُوهُمْ مَا أَنْفَقُوا﴾ وهذا من سماحة الإسلام وعَدْله وإنصافه لغير أهله، فإذا أسلمتِ المشركةُ ذاتُ الزوج وهاجرتْ إلي المسلمين، فقد أضرّتْ بزوجها، من جهة أنّ الفراق كان بسببها، فعلى المسلمين تعويضُ هذا الزوج عمّا لحقه من ضرر الفراق، وذلك بردّ ما أمهرها عليه، ومَن رغب في نكاح المهاجرة من المسلمين ف ﴿لاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ﴾ بشرط ﴿إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ والمراد الصداق، مع مراعاة بقيّة شروط النكاح. ولما حرّم الله المسلماتِ على المشركين، حرّم المشركاتِ على المؤمنين فقال: ﴿وَلاَ تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ﴾ والكوافر منهن الكتابيات وغير الكتابيات لكن الله أحلّ الكتابيات في قوله: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ...﴾ [المائدة:٥]. فبان أن المراد بالكوافر هنا المشركات من غير أهل الكتاب، وقد صرّح ربّنا بذلك في قوله ﴿وَلاَ تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾ [البقرة:٢٢١]. ﴿واسألوا﴾ المشركين ﴿ما أنفقتم﴾ على زوجاتكم المشركات إذا فارقتموهنّ لإصرارهنّ على الشرك، ﴿وليسألوا﴾ كم ﴿ما أنفقوا﴾ على زوجاتهم المؤمنات المهاجرات. ﴿ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾ أي في الصلح واستثناء النساء منه، والأمر بهذا كله هو

باب السنة

بقلم / الرئيس العام

رحمة النبي ﷺ بأصحابه!!

عن جابر بن عبد اللَّه رضي اللَّه عنهما قال: كنت مع النبي صلى اللَّه عليه وسلم في غزاة، فأبطأ بي جملي وأعيا- إنما هو في آخر القوم- فأتى عليَّ النبي ﷺ، فقال:جابر فقلت: نعم قال: ما شأنك؟ قلت: أبطأ عليَّ جملي وأعيا فتخلفت، فنزل يحجنه بمحجنه-وفي رواية قال: أمعك قضيب؟ قلت: نعم. قال: أعطنيه، فضربه فزجره، فكان من ذلك المكان في أول القوم. ثم قال: اركب، فركبت، فلقد رأيته أكفه عن رسول الله صلى اللَّه عليه وسلم، فقال: كيف ترى بعيرك؟ قلت: بخير قد أصابته بركتك. قال: تزوجت؟ قلت: نعم. قال: بكرًا أم ثيبًا؟ قلت: بل ثيبًا. قال: «أفلا جارية تلاعبها وتلاعبك وتضاحكك». قلت: إن لي أخوات فأحببت أن أتزوج امرأة تجمعهن وتمشطهن وتقوم عليهن. وفي رواية: قلت: إن أبي توفي يوم أُحُد وترك لي تسع بنات، فكرهت أن أجمع إليهن جارية خرقاء مثلهن فأردت أن أنكح امرأة قد جربت خلا منها. قال: أما إنك قادم، فإذا قدمت فالكيس الكيس. ثم قال: أتبيع جملك، قال: فاستحييت، ولم يكن لنا ناضح غيره. قال: قلت: نعم، فاشتراه مني بأوقية. وقال: لك ظهره إلى المدينة. فقلت: يا رسول الله، إني عروس، فاستأذنته فأذن لي فتقدمت الناس إلى المدينة. ثم قدم رسول الله صلى اللَّه عليه وسلم قبلي وقدمت بالغداة، فلما ذهبنا ندخل قال: أمهلوا حتى تدخلوا ليلاً- أي عشاءً- لكي تمتشط الشعثة وتستحد المغيبة. فلقيني خالي فأخبرت خالي ببيع الجمل، فلامني فأخبرته بإعياء الجمل وبالذي كان من النبي صلى اللَّه عليه وسلم، ووكزه إياه، فجئنا إلى المسجد فوجدته على باب المسجد. قال: الآن قدمت؟ قلت: نعم. قال: فدع جملك فادخل فصل ركعتين. قال: فدخلت فصليت فأمر بلالاً أن يزن لي أوقية. قال: يا بلال، اقضه وزده، فوزن لي بلالٌ فأرجح في الميزان. فانطلقت حتى وليت. فقال: ادع لي جابرًا. قلت: الآن يرد عليّ الجمل، ولم يكن شيء أبغض إليَّ منه. قال: خذ جملك ولك ثمنه. فأعطاني ثمن الجمل والجمل وسهمي مع القوم، وقال: الثمن والجمل لك. قال جابر: لا تفارقني زيادة رسول الله صلى اللَّه عليه وسلم، فلم يكن القيراط يفارق جراب جابر بن عبد اللَّه. [والحديث رواه البخاري ومسلم].

مشي الإمام في حوائج رعيته!!

عن جابر بن عبد اللَّه رضي اللَّه عنهما قال: قتل أبي عبد اللَّه بن عمرو بن حرام يوم أُحد شهيدًا، وترك عيالاً ودينًا فاشتد الغرماء في حقوقهم، وليس لي إلا ما يخرج نخلة ولا يبلغ ما يخرج سنين ما عليه، فأتيت النبي صلى اللَّه عليه وسلم فدفعت الباب، فقال: من ذا؟ فقلت: أنا. فقال: أنا، أنا كأنه كرهها؟ فقلت: قد علمت أن والدي قد استشهد يوم أحد وترك دينًا كثيرًا. فاستعنت النبي صلى اللَّه عليه وسلم على غرمائه أن يضعوا من دينه وأن يقبلوا تمر حائطي ويحللوا أبي فأبوا، فطلب النبي صلى اللَّه عليه وسلم إليهم فلم يفعلوا. فقال لي النبي صلى اللَّه عليه وسلم: اذهب فصنف تمرك أصنافًا: العجوة على حدة وعذق ابن زيد على حدة واللون على حدة، ثم أرسل إليَّ ففعلت ثم أرسلت للنبي صلى اللَّه عليه وسلم، فغدا علينا حين أصبح ومعه أبو بكر وعمر، فطاف في النخل ودعا في تمرها بالبركة، فجلس في أعلاه أو في وسطه، ثم قال: كِلْ للقوم فكلتهم حتى أوفيتهم الذي لهم، فما تركت أحدًا له على أبي دين إلا قضيته وبقي تمري كأنه لم ينقص منه شيء، بقي لي منه ثلاثة عشر وسقًا سبعة عجوة وستة لون، أو ستة عجوة وسبعة لون.

وأنا واللَّه راض أن يؤدي اللَّه أمانة والدي ولا أرجع إلى أخواتي بتمرة، فسلم اللَّه البيادر كلها، حتى أني أنظر إلى البيدر(٢) الذي عليه رسول الله صلى اللَّه عليه وسلم كأنه لم ينقص تمرة واحدة. وبقي مثل ما أعطاهم.

فوافيت رسول الله صلى اللَّه عليه وسلم بالمغرب فذكرت له، فضحك فقال: «ائت أبا بكر وعمر فأخبرهما»، فأخبرهما، فقالا: لقد علمنا إذ صنع رسول الله صلى اللَّه عليه وسلم ما صنع.

وفي الحديث من الفوائد: جواز الاستنظار في الدَين الحالي، وجواز تأخير الغريم لمصلحة المال الذي يوفي منعه، وفي مشي الإمام في حوائج رعيته وشفاعته عند بعضهم في بعض. وفيه علم ظاهر من أعلام النبوة لتكثير القليل.

بَركة النبي ﷺ !!

عن جابر رضي اللَّه عنه قال: كان بالمدينة يهودي، وكان يسلفني في تمري إلى الجذاذ، وكانت لجابر الأرض التي بطريق رومة، (فخاست) فخلا عامًا فجاءني اليهودي عند الجذاذ ولم أجذ منها شيئًا فجعلت استنظره(١) إلى قابل فيأتي فأخبر بذلك النبي صلى اللَّه عليه وسلم، فقال لأصحابه: امشوا نستنظر لجابر من اليهودي، فجاءوني في نخلي فجعل النبي صلى اللَّه عليه وسلم يكلم اليهودي، فيقول: أبا القاسم لا أنظره، فلما رأى النبي صلى اللَّه عليه وسلم، قام فطاف في النخل، ثم جاء فكلمه فأبى. فقمت فجئت بقليل رطب فوضعته بين يدي النبي صلى اللَّه عليه وسلم، فأكل ثم قال: أين عريشك يا جابر؟ فأخبرته فقال: افرش لي فيه ففرشته فدخل فرقد ثم استيقظ فجئته بقبضة أخرى فأكل منها، ثم قام فكلم اليهودي فأبى عليه، فقام في الرطاب في النخل الثانية، ثم قال: يا جابر، جذ واقض فوقف في الجداد فجذذت منها ما قضيته وفضل منه فخرجت حتى جئت النبي صلى اللَّه عليه وسلم فبشرته، فقال: «أشهد أني رسول الله».

عن جابر رضي اللَّه عنه قال: لما حضر أحد دعاني أبي من الليل، فقال: ما أراني إلا مقتولاً في أول من يُقتل من أصحاب النبي صلى اللَّه عليه وسلم وإني لا أترك بعدي أعز عليّ منك غير نفس رسول الله صلى اللَّه عليه وسلم، فإن عليَّ دينًا فاقض واستوص بأخواتك خيرًا فأصبحنا فكان أول قتيل ودفن معه آخر في قبره، ثم لم تطب نفسي أن أتركه مع الآخر فاستخرجته بعد ستة أشهر فإذا هو كيوم وضعته هنية غير أذنه.

عن جابر بن عبد اللَّه قال: لما قتل أبي جعلت أكشف الثوب عن وجهه أبكي وينهوني عنه، والنبي صلى اللَّه عليه وسلم لا ينهاني، فجعلت عمتي فاطمة تبكي، فقال النبي صلى اللَّه عليه وسلم: «تبكين أو لا تبكين ما زالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى رفعوه». وفي رواية: جيء بأبي يوم أُحد قد مُثل به، حتى وضع بين يدي رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم وقد سُجي ثوبًا، فذهبت أريد أن أكشف عنه، فنهاني قومي. ثم ذهبت اكشف عنه فنهاني قومي، فأمر رسول الله صلى اللَّه عليه وسلم فرفع سمع صوت صائحة، فقال: من هذه؟ فقالوا: ابنة عمرو- أو أخت عمرو- قال:

فلم تبكي، أو: لا تبكي، فما زالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى رفع.

فوائد هامة من حديث جابر!!

جمع حديث جابر بن عبد الله من الفوائد الهامة الشيء الكثير، ويمكن أن نجمع جملة كبيرة من هذه الفوائد في ثلاثة محاور:

المحور الأول: في خصائص النبي ﷺ وبركته وشفقته وعنايته بالأمة وتواضعه وتدبيره لمصالح أصحابه حيهم وميتهم وربطه بين السلوك والتعبد، وعادته بالبدء بالمسجد إذا عاد من سفر، وإرشاد غيره إلى ذلك من غير إلزام، وبركة دعائه وبركة عطائه وبركة عمله.

المحور الثاني: في بناء الأسرة بالحث على زواج الأبكار، وبيان فضل الله في المودة والرحمة بالملاعبة والمضاحكة، وفي بيان رعاية الأيتام والأخوات، وترك زواج الأبكار مع تفضيله مواساة للأخوات ورعاية لمصالحهن.

وآداب الدخول بعد الغياب والعودة من الأسفار.

المحور الثالث: في أحكام الأسواق والبيع والمساومة والمماكسة والشروط والسلم والنقد والزيادة والهبة.

وهناك مسائل متفرقة كثيرة؛ منها بقاء بركة صالح العمل للذرية، وفضل صلاح الولد، وأنه أفضل من ترك الميراث الكبير.

التعريف بجابر

جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصاري السلمي من بني سلمة، أمه نسيبة بنت عقبة، شهد العقبة الثانية مع أبيه وهو صغير، وكان أصغر من شهدها، وشهد مع النبي ﷺ تسع عشرة غزوة، حيث تخلف عن بدر وأحد، فلما مات أبوه شهيدًا في غزوة أُحد لم يتخلف عن رسول الله ﷺ بعد.

وجابر من المكثرين في الرواية عن النبي ﷺ، له ألف وخمسمائة وأربعون حديثًا، اتفق الشيخان منهما على ثمانية وخمسين حديثًا، وانفرد البخاري بست وعشرين، وانفرد مسلم بمائة وستة وعشرين حديثًا.

وكان لجابر بن عبد الله حلقة في المسجد النبوي يؤخذ عنه العلم، وكان مفتي المدينة في زمانه، عاش بعد ابن عمر أعوامًا تفرد فيها.

كبر جابر حتى كف بصره، ومات عن أربع وتسعين سنة، وهو آخر من مات بالمدينة ممن شهد العقبة.

من أقواله:

قال جابر: استغفر لي رسول الله ﷺ ليلة البعير خمسًا وعشرين مرة (ت في المناقب ٣٨٥٢)، وكان قد مات أبوه وترك له بنات يعولهن وينفق عليهن، وكان النبي ﷺ يبر جابرًا ويرحمه بسبب ذلك.

لم يخرج جابر إلى غزوة أحد طاعة لأبيه، وقعد لأجل إخوته.

قال جابر بلغني عن رجل حديث سمعه من رسول الله ﷺ فاشتريت بعيرًا، ثم شددت عليه رحلي فسرت إليه شهرًا حتى قدمت عليه الشام، فإذا عبد الله بن أنيس، فقلت للبواب: قل له: جابرعلى الباب، فقال: ابن عبد الله؟ قلت: نعم، فخرج يطأ ثوبه، فاعتنقني واعتنقته، فقلت: حديث بلغني عنك أنك سمعته من رسول الله ﷺ في القصاص فخشيت أن تموت أو أموت قبل أن أسمعه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يحشر الناس يوم القيامة- أو قال: العباد- عراة غرلا بهما». قال: قلنا: وما بهما؟ قال: «ليس معهم شيء ثم يناديهم بصوت يسمعه من بعد- أحسبه قال: كما يسمعه من قرب-: أنا الملك، أنا الديان، ولا ينبغي لأحد من أهل النار أن يدخل النار وله عند أحد من أهل الجنة حق حتى أقصه منه حتى اللطمة، قال: قلنا: كيف وإنا إنما نأتي الله عز وجل عراة غرلا بهما؟ قال: بالحسنات والسيئات».

وكان أبوه أول قتيل قتل يوم أحد قتله سفيان بن عبد شمس ودفن معه عمرو بن الجموح في قبر واحد، مات عبد الله بن حرام يوم أحد شهيدًا، وقد انكشف قبره بعد زمان، فبادر جابر إلى قبر أبيه، فوجده طريًا لم يبل، وكان قد جرح فدفن ويده على جرحه، فأميطت يده عن جرحه، فانبعث الدم، فردت يده إلى مكانها فسكن الدم، قال جابر: فرأيت كأنه نائم في حفرته ما تغير من حاله كثير ولا قليل، وذلك بعد ست وأربعين سنة.

عن جابر قال: أصيب أبي وخالي يوم أُحد، فجاءت بهما أمي قد عرضتهما على ناقة- أو قال: على جمل- فأقبلت بهما إلى المدينة، فنادى منادي رسول الله ﷺ: «ادفنوا القتلى في مصارعهم، فردا ودفنا في مصارعهما».

سنة صلاة القدوم

كان النبي ﷺ إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد. وفي حديث جابر قال: قال: «فدع جملك وادخل فصلِّ ركعتين».

قال النووي: هذه الصلاة مقصودة للقدوم من السفر ينوي بها صلاة القدوم، لا أنها تحية المسجد الذي أمر الداخل بها قبل أن يجلس، ولكن تحصل التحية بها.

وقد ترجم البخاريْ باب: الصلاة إذا قدم من سفر. وأمر النبي ﷺ لجابر بصلاة ركعتين، فظهر أن ذلك ليس من خصائص النبي ﷺ، وفي الحديث جواز تأخير الوفاء بالثمن عن مجلس العقد، وفيه جواز أن يشتري من ليس معه ثمن في الحال.

وفي الحديث النهي عن طروق الأهل ليلاً؛ أي الدخول عليهم بغير استعداد للاستقبال من الأهل فتمتشط الشعثة، وتستحد المغيبة (ينظر في موضوعات آداب عشرة النساء).

وقد أصاب جمل جابر الإعياء فصار في مؤخرة القوم فوصفه جابر بقوله: «فزحف»، أي صار يجر رجليه فيزحف بها على الأرض، وكان جابر أراد أن يترك جمله ضجرًا منه وأنهم كانوا ينضحون عليه، يعني يستقون عليه من الماء.

وفي الحديث أنهم كانوا ينصبون الحجارة في الأرض لتذليل السير فيها ويسمون ذلك البلاط، فقال جابر: وعقلت جملي في ناحية البلاط.

وقد ترجم له البخاري: باب من عقل بعيره على البلاط. وقال ابن حجر: البلاط حجارة مفروشة كانت عند باب المسجد.

هذا، وأنت تجد في المدن القديمة والشوارع العتيقة مثل أحياء القاهرة والإسكندرية وغيرهما من الأحياء العتيقة لا تزال الشوارع مفروشة بالحجارة، وهذه التسمية قديمة (البلاط).

وفي هذا الحديث جواز اشتراط ظهر الدابة إلى مكان معلوم، وهو ينزل منزلة الشرط المعلوم ولا يعارض ذلك حديث النهي عن الثنيا؛ لأن ذلك في المستثنى غير المعلوم، كأن يقول: بعتك قطيع الغنم إلا شاة ولا يعينها، فلا يصح فإن علمت صح ذلك؛ لأن حديث النهي عن الثنيا فيه قول: إلا أن يعلم.

قال ابن حجر: وأما حديث النهي عن بيع وشرط ففي إسناده مقال وهو قابل للتأويل.

وفي روايات للحديث عند غير البخاري أن النبي ﷺ أمر جابرًا أن يقطع له عصا من شجرة فنخس بها الجمل نخسات، وأنه ﷺ نفث في العصا ومج الماء في نحر الجمل ودبره وضربه بالعصا فانبعث، فقال ﷺ: «اركب باسم الله». يقول جابر: فما كدت أمسكه فكنت أحبس خطامه لأسمع حديث النبي ﷺ، فقال: كيف ترى بعيرك، قلت: بخير، قد أصابته بركتك.

وفي الحديث قوله ﷺ: «بعنيه بأوقية». قلت: لا، قال: «بعنيه بأوقية»، فبعته.

قال ابن حجر: والوقية من الفضة كانت في عرف ذلك الزمان درهمًا في عرف الناس بعد ذلك عشرة دراهم وفي عرف أهل مصر اليوم اثنا عشر درهمًا.

الأوقية والوقية: زنة سبعة مثاقيل وزنة أربعين درهمًا والأوقية جمعها أواقي والوقية وهي قليلة وجمعها وقايا، القيراط جزء من أجزاء الدينار وهو نصف عشرة في أكثر البلاد وأهل الشام يجعلونه جزءًا من أربعة وعشرين.

يقول جابر: فكرهت أن أبيعه- وفي رواية-: فاستحييت ولم يكن لنا ناضح غيره- وكانت لي إليه حاجة شديدة.

وفي رواية: قلت: هو لك يا رسول الله، فقال: «بعنيه». وقال: «اللهم اغفر له اللهم ارحمه».

وفي رواية: اتبيع ناضحك، والله يغفر لك. والروايات تدل على كثرة الاستغفار لجابر، فعند النسائي قال: استغفر لي رسول الله ﷺ ليلة البعير خمسًا وعشرين مرة.

وفي الحديث أن جابرًا استأذن أن يتقدم للناس لأنه عروس تزوج امرأة، لكنه في الحديث: وقدم رسول الله ﷺ المدينة قبلي وقدمت بالغداة، فجئت إلى المسجد فوجدته، فقال: الآن قدمت؟ قلت: نعم، وظاهرهما التناقض.

قال ابن حجر: لا يلزم من قوله فتقدمت الناس أن يستمر سبقه لهم لاحتمال أن يكونوا الحقوه بعد أن تقدمهم لنزوله لراحة أو نومه، ولعله امتثل أمر النبي ﷺ بأن لا يدخل ليلاً فبات دون المدينة، فدخل النبي ﷺ في السحر وتأخر جابر حتى طلع النهار.

وفي الحديث أن خال جابر لامه لبيع الجمل ولعل ذلك لأنه ليس لجابر ناضح غيره.

وفي الحديث أن رسول الله ﷺ أمر بلالاً أن يزن لجابر الأوقية ويزيده فزاده قيراطًا، وهذا يدل على أن الذهب والفضة وهي الأثمان كانت توزن فالأوقية سبعة مثاقيل أو زنة أربعين درهمًا، والقيراط نصف عشر الدينار أو جزء من أربعة وعشرين جزءًا منه. يقول جابر: إن بركة هذه الزيادة مازالت عنده في بيته يرى أثرها. قال جابر: فانطلقت حتى وليت، فقال: ادع جابرًا، فقلت: الآن يرد عليَّ الجمل، ولم يكن شيء أبغض إلي منه، فقال: خذ جملك ولك ثمنه، وهذا ظاهر التناقض مع قول جابر: ولم يكن لنا ناضح غيره. وقوله: وكانت لي إليه حاجة شديدة، ولكني استحييت منه، وكذلك لوم خاله له على بيعه، ويمكن تفسير ذلك بأن هذا كان في أول الأمر، فلما علم أنه يمكن أن يشتري خيرًا منه وأن الثمن أوفر من قيمته كره رده عليه، فدعاه فرد عليه الجمل ووهب له الثمن، وهذا من غاية الإكرام أن أعطاه الثمن وزاده فيه، ثم رد عليه الجمل.

وفي بعض روايات الحديث، بل في أكثرها أن جابرًا اشترط ركوب الجمل حتى يبلغ المدينة، وهذا يدل على جواز مثل ذلك الشرط فلا يفسد البيع، ولعل القصة كلها وقعت على وجه التفضل والرفق بجابر برًا بأبيه وموساة لحاله مع أخواته وعونًا له، إلا أن ذلك لا يمنع أن تكون القصة دليلاً على صحة ما وقع فيها من أحكام شرعية في البيع والشرط.

والحديث دال على أن النبي ﷺ اشترى الجمل بثمن معلوم ثم زاده عليه عند الوفاء زيادة معلومة، وفي ذلك بيان كرمه ﷺ وتواضعه وحنوه على أصحابه وبركة دعائه.

وفي الحديث جواز المساومة لمن يعرض سلعته للبيع والمماكسة في البيع قبل استقرار العقد وجواز ابتداء المشتري بذكر الثمن، ولا ينافي ذلك أن صاحب السلعة أولى بالسوم.

وفي الفتح: قال ابن بطال: لا خلاف في هذه المسألة، وأن متولي السلعة من مالك أو وكيل أولى بالسوم من طالب الشراء.

قلت- القائل ابن حجر-: لكن ذلك ليس بواجب كما في حديث جابر أنه ﷺ بدأ بقوله بعنيه بأوقية.

وفي الحديث أن القبض ليس شرطًا في صحة البيع.

قال ابن حجر: وفي الحديث أن إجابة الكبير بقوله: (لا) جائز في الأمر الجائز، والتحدث بالعمل الصالح للإتيان بالقصة على وجهها لا على وجه تزكية النفس وإرادة الفخر.

وفي الحديث: تفقد الإمام والكبير لأصحابه وسؤاله عما ينزل بهم وإعانتهم بما تيسر من حال أو مال أو دعاء.

وفي الحديث: تواضعه ﷺ، وفي الحديث توقير الصغير للكبير، والمرؤوس لرئيسه وترك حظ نفسه له كما فعل جابر فباع رغم حاجته إلى الجمل.

وفي الحديث: جواز ضرب الدابة للسير ما لم يتحقق أن ذلك لفرط تعب أو إعياء.

وفي الحديث الوكالة في وفاء الديون.

وفي الحديث: الوزن على المشتري والشراء بالنسيئة.

وفي الحديث: رد العطية قبل القبض؛ لقول جابر للنبي ﷺ: هو لك، قال: لا بل بعنيه.

وفي الحديث: جواز إدخال الدواب والأمتعة إلى رحاب المسجد.

وفي الحديث جواز زيادة الثمن عند الأداء.

وفي الحديث من دلائل نبوته ما أصاب الجمل من بركته فصار في مقدمة القوم، بل ذكر بعض أهل العلم أن جمل جابر هذا بقي عند جابر إلى خلافة عمر بن الخطاب، فلما عجز الجمل وعرف عمر قصته أمر جابرًا فجعله في إبل الصدقة وفي أطيب المراعي حتى مات.

وفي الحديث فضل زواج الأبكار وتفضيل الثيبات عليهن إن كان لذلك حاجة، لذلك قال له النبي ﷺ: خيرًا، أو قال: أصبت، وفي الحديث مشروعية ملاعبة الأزواج والزوجات والمضاحكة.

نسأله سبحانه وتعالى الهدى والتقوى والعفاف والغنى. والله من وراء القصد.

هوامش

(١) أي: أطلب منه التأخير.

(٢) بيدر، والجمع بيادر، والبيدر للتمر كالجرن للحب. «قاله ابن حجر في الفتح».

التحذير من التكفير ومن التسرع فيه

بقلم / علي عبد العزيز الشبل
المدرس بكلية أصول الدين بالرياض

الكفر عند أهل السنة والجماعة ومخالفهم:

الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له.... أما بعد..

فهذا الموضوع في الحقيقة هو نتيجة البحث في الإيمان من حيث مسماه وتعريفه وأركانه وزيادته ونقصانه، بل وعلاقته بالإسلام في حالي الاجتماع والافتراق، ولذا تحتم بيانه والتأكيد على خطره، إذ الناس فيه على طرفي نقيض، ما بين مغرق في التكفير، وما بين متساهل فيه فلا يكفر أحدًا نطق بالشهادتين، والحق وسط بين

وتكمن أهمية الموضوع في الآتي:

١ - أن أهمية البحث في موضوع الكفر وبيانه تتمثل في وجوب الحذر منه والبعد عنه فهو علامة شقاوة العبد في الدنيا والآخرة. وهو أيضًا أعظم الذنوب والآثام وأشدها خطرًا وأعظمها وقعًا وأثرًا. وهو أخوف ما يخافه ويحذره المؤمنون وفي ذلك نصوص متكاثرة جدًا منها قوله تعالى في سورة المائدة: ﴿ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين﴾.

وفي سورة النساء يقول عز وجل ﴿يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نَزَّل على رسوله الكتاب الذي أنزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر فقد ضل ضلالا بعيدًا﴾.

ويقول سبحانه في سورة البقرة: ﴿ومن يتبدل الكفر بالإيمان فقد ضل سواء السبيل﴾.

٢ - ومن أهمية موضوع الكفر أن عاقبته في الآخرة خلود صاحبه في النار ودوام عذاب جهنم عليه فيها أبدًا، حيث نص الله على ذلك الخلود المؤبد له في عذابه في ثلاثة مواضع من كتابه المنزل.

أولها في آخر النساء حيث قال عز وجل: ﴿إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا بعيدًا * إن الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقًا * إلا طريق جهنم خالدين فيها أبدا وكان ذلك على الله يسيرا﴾.

وفي آخر الأحزاب يقول سبحانه: ﴿يسألك الناس عن الساعة قل إنما علمها عند الله وما يدريك لعل الساعة تكون قريبًا * إن الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيرًا * خالدين فيها أبدًا لا يجدون وليا ولا نصيرًا﴾.

وفي آخر سورة الجن قال سبحانه: ﴿ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبدًا﴾

رتب الله على الكفر من العذاب الشديد. والسعير السرمدي وسخطه وعقوبته ما يضيق هذا المختصر عن تعداد أنواعه المذكورة في كلامه سبحانه، واكتفى بقوله تعالى من سورة فاطر: ﴿والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك نجزي كل كفور﴾.

٣ ـ ومن أهمية هذا الموضوع؛ ـ موضوع الكفر ـ أنه قسيم الإيمان في مسألة الأسماء والأحكام على العبد في الدنيا مؤمن هو أم كافر ثم حكم ذلك المترتب عليه في الآخرة أمن أهل الجنة أم من أهل النار؟.

وقد نبه إلى ذلك علماء الإسلام في تصانيفهم ومؤلفاتهم في موضوع الإيمان والرد على المرجئة من جهة والرد على الوعيدية من الخوارج والمعتزلة من جهة أخرى.

ولذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في «الكيلانية» ٤٦٨/١٢ ضمن الفتاوي في معرض بيانه لموضوع الكفر والتكفير وعلاقته بالهدى، وأسبابه ودواعيه، ومنهج المبتدعة فيه قال «فصل: إذا تبين ذلك فاعلم أن مسائل التكفير والتفسيق هي من مسائل الأسماء والأحكام التي يتعلق بها الوعد والوعيد في الدار الآخرة، وتتعلق بها الموالاة والمعاداة، والقتل والعصمة وغير ذلك في الدار الدنيا؛ فإن الله سبحانه أوجب الجنة للمؤمنين، وحرم الجنة على الكافرين، وهذا من الأحكام الكلية في كل وقت ومكان...»!

ونحو هذا ما لخصه الحافظ ابن رجب في شرحه لحديث جبرائيل في الإسلام والإيمان والإحسان حيث يقول:

«وهذه المسائل: أعني مسائل الأسماء والإيمان، والكفر والنفاق، مسائلُ عظيمة جدًا؛ فإن الله عز وجل علق بهذه الأسماء السعادة والشقاوة واستحقاق الجنة والنار.

والاختلافُ في مسمياتها أولُ اختلاف وقع في هذه الأمة، وهو خلاف الخوارج للصحابة، حيث أخرجوا عصاة الموحدين من الإسلام بالكلية، وأدخلوهم في دائرة الكفر، وعاملوهم معاملة الكفار، واستحلوا بذلك دماء المسلمين وأموالهم.

ثم حدث بعدهم خلاف المعتزلة وقولهم بالمنزلة بين المنزلتين.

ثم حدث خلاف المرجئة وقولهم: إن الفاسق مؤمن كامل الإيمان.

وقد صنف العلماءُ قديمًا وحديثًا في هذه المسائل تصانيف متعددة ...»

أيها الأخوة

هذا طرف مهم من أهمية موضوع الكفر والإيمان، والتبصر فيهما، وتعلم مسائلهما، وإدراكُ ذلك إدراكًا جيدًا، مع الحذر الشديد من الانزلاق في مهاوي التكفير والتبديع والتفسيق أو الحكم على المعين بكمال إيمان أو جنة أو نار إلا من شهد له النص الشريف من الوحيين بذلك، فهذه قاعدة أصلية من قواعد أهل السنة والجماعة؛ بل ومن أصول عقائدهم.

كذلك الحذر من عدم تكفير من كفره الله وكفره رسوله ﷺ سواء كانوا من أهل الملل الكافرة يهود أو نصارى أو مشركين أو أهل نفاق أو ردة عن دين الله عز وجل بإتيان ناقض من نواقض الدين، وهي التي اعتنى بها العلماء.

فيجب على المسلم .. لا سيما طالب العلم. حفظ هذا الأصل العظيم لدى أهل الإسلام.

وفق الله الجميع لذلك، وهدانا وإياكم إلى سواء السبيل، والصراط المستقيم وألزمنا كلمة التقوى ومنهاج النبي وأصحابه، وجادة علماء الإسلام الراسخين، وهدى ضالنا ورده إلى جادة الحق ردًا جميلا.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات
سبحان ربك رب العزة عما يصفون

«يا منبر التوحيد»

شعر / حسن أبو الغيط

يا منبر التوحيد والتأصيلِ   من غير تعطيلٍ ولا تمثيلِ
يا نور دين الله في جيلٍ لنا   وبكل جيلٍ لاحَ بعد الجيلِ
مرت سنونَ ولم أزرْكم مرةً   إلا قُبيل رحيلكم بقليلِ
أعلمت أني قد أتيت إليكمو   قبل الرحيل وعدت دون وصولِ؟
عنكم سألت فقيل صبرًا إنهُ   وضيوفه.. فلآخَرٍ مسئولِ
سأعود بعد دقائقٍ يا إخوتي   حتى أفوز بنظرةٍ ومقولِ
وذهبت للمسئول عن تحريرها(١)   فإذا ببدرٍ ملتحٍ مقبولِ
وكأنني من قبلُ كنت رأيتهُ   وكأنه أيضًا.. فبالتقبيلِ
قبلاتنا كانت بكل قلوبنا   وبكل أعيننا بلا تثقيلِ
وخرجت للعصر المؤذّن مسرعًا   وسبقْتني للعصر قبل دخولي
ودخلتُ مسجدكم فكان له بكم   عبَقٌ يريح ارتحت رغم خمولي
وشعرت أنك فيه لكني على   أمل التحدث معْك بالتفصيلِ
وخرجت من بين الزحام محاولا   هذا الوصول ولم أَفُزْ بوصولِ
ورجعت من بعد العناء لقريتي   وأنا أمنّي النفس بالتسهيلِ
كم كنت آمل أن أعود إليكمو   لكنني فوجئت بالترحيلِ
فوجئت بالخبر الذي قد جاءني   وذهلت لكنْ لا يفيد ذهولي
وذكرت «صفوتْ» كيف فاجأ موتهُ   أملي كذلك لم أنَلْ مأمولي
كنت اتصلت مسائلا: ما وقتهُ؟   وعرفت لكنْ لا خطئَ لكسولِ
فارقتما.. هو بالشهادة فائزًا   وحظيت أنت بعمرةٍ وقبولِ
لله لا لسواه فيه رحلتما   من بعد ما جاهدتما بخيولِ
فلْتنعما بنعيمه ولتسْهما   طول المدى بجهادنا الموصولِ

---

(١) كان ذلك أيام رئاسة الشيخ صفوت الشوادفي رحمه الله لرئاسة مجلة التوحيد.

كلمة التحرير

فتن تستوجب العفو والتوبة!!

بقلم:

رئيس التحرير

جمال سعد حاتم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه. ونستغفره ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. وبعد..

فإن الابتلاء سنة ربانية جارية على فمن كوارث تصيبه، وشدائد تحل بساحته، فكثيرا ما يخفق في عمل، أو يخيب له أمل أو يموت له حبيب، أو يمرض له بدن، أو يفقد منه مال!!

وإذا كانت هذه سنة الله تعالى في الناس كافة فإن أصحاب الرسالات خاصة أشد تعرضًا لنكبات الدنيا ومحنها، إنهم يدعون إلى الله - عز وجل - فيحاربهم دعاة الشياطين، وينادون بالحق فيقاومهم أنصار الباطل، ويهدون إلى الخير فيعاديهم أنصار الشر، ويأمرون بالمعروف فيخاصمهم أهل المنكر... وبهذا يحيون في دوامة من المحن، وسلسلة من المؤامرات والفتن، فتلك سنة الله - تعالى - الذي خلق آدم وإبليس، وإبراهيم، والنمرود، وموسى وفرعون، ومحمدًا ﷺ وأبا جهل: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنْسِ وَالجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام:١١٢].

فهذا شأن الأنبياء، وشأن ورثتهم، والسائرين على دربهم، والداعين بدعوتهم مع الطغاة الصادين عن سبيل الله: ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاَّ أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الحَمِيدِ﴾ [البروج:٨].

ابتلاء العبد المؤمن!!

والعبد المؤمن لا يمكّن حتى يبتلى، ولهذا سأل رجل الإمام الشافعي فقال: «أيما أفضل للرجل أن

يمكّن أو يبتلى؟ فقال الشافعي لا يمكن حتى يبتلى. فإن الله قد ابتلى نوحًا وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمدًا - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فلما صبروا مكّنهم، فلا يظنُّ أحد أن يخلص من الألم البتّة!!

وإن من ألد أعداء الإسلام المحاربين له أولئك المنافقين الذين يتسترون بالإسلام، ويلبسون ثياب أهل الإيمان، وهم على قلوب أهل الزيغ والخسران، والغل والكفران تجدهم يتربصون الدوائر بأهل السنة والقرآن وينتهزون الفرص لتحقيق مآربهم الفاسدة، ونياتهم الخبيثة. فلله كم من معقل للإسلام قد هدموه؟!! وكم من حصن له قد قلعوا أساسه وضربوه؟!! وكم من علم قد طمسوه؟!! وكم من لواء له مرفوع قد وضعوه؟!! فلا يزال الإسلام وأهله منهم في محنة وبلية، ولا يزال يطرقه من شبههم سرية بعد سرية. ويزعمون بذلك أنهم مصلحون: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [الصف:٨].

وعن حذيفة قال: كنا عند عمر فقال: أيكم سمع رسول الله ﷺ يذكر الفتن؟ فقال قوم: نحن سمعناه، فقال: لعلكم تعنون فتنة الرَّجل في أهله وماله وجاره؟ قالوا: أجل: قال: تلك يُكَفرها الصلاة والصيام والصدقة، ولكن أيكم سَمِعَ النبي ﷺ يذكر التي تموج موج البحر؟ قال حذيفة: فأسكت القوم، فقلت: أنا، فقال: أنت لله أبوك، قال حذيفة سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تُعرَضُ الفتن على القلوب كالحصير عودًا عودًا، فأي قلب أُشْرِبَهَا، نُكِتَتْ فيه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها، نُكِتَتْ فِيه نُكْتَةٌ بيضاء حتى يصير على قلْبين أبيض مثل الصفا، فلا تَضُرُّهُ فتنة ما دامت السماوات والأرض» والآخر أسود مُرْبَادًا كَالْكُوزِ مُجَخِّيًا لا يعرف معروفا، ولا ينكر منكرا إلا ما أشرب من هواه قال حذيفة: وحدثته أن بينك وبينها بابا مغلقا يوشك أن يكسر، قال عمر: أكَسْرًا لا أبًا لك، فلو أنه فتح لعله كان يعاد، قال: لا بل يكسر، وحدثته أن ذلك الباب رجل يقتل أو يموت، حديثًا ليس بالأغاليط، قال أبو خالد: فقلت لسعد يا أبا مالك ما أسود مُرْبَادًا؟ قال: شدة البياض في سواد، قال: قلت فما الكُوزُ مُجَخِّيًا؟ قال: مَنْكُوسًا(١).

العفو عند المقدرة؟!!

ولكن ومع ما يقع من الناس من أفعال وأقوال تجعل الإنسان يشتاط غضبًا إلا أنه سرعان ما يجد نفسه يعود إلى ما شرع الله، والله أكبر ما أجمل العفو عند المقدرة، ومن أحق بذلك إن لم يكن رسول الله ﷺ ؟ ولقد صدق الله إذ يقول «وإنك لعلى خلق عظيم»...

لقد كفكف الرسول ﷺ من نزوات الجاهلية وأقام أركان المجتمع على الفضل وحسن الخلق ونبذ الجهل والغضب، وكثير من النصائح التي أسداها للناس كافة كانت تتجه إلى هذا الهدف، يقول الرسول ﷺ «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر» [رواه البخاري ومسلم].

---

(١) حديث صحيح أخرجه مسلم ١٢٨/١ - ١٢٩ كتاب الإيمان.

الغضب قرين الشر!!

إن الحلم اسم يقع على كف النفس من الخروج إلى مـا نهى الله عنه وهو في مـوطن الغـضب سيادة على النفس وضبط لها وكبح لجماحها كما أنه لباس العلم فمن فقده فقد تعرى وبدت للناس سوأته، وهل يجيئ الباطل بخير؟!

ألا إن الغـضب قـرين الشـر وإن الحلم راحـة القلوب وسعادة النفوس.

إن التفاوت بين الناس بعيد الشقة مع أنهم من أبوين اثنين، وإن اخـتـلافهم في أوضاعـهم مسار امـتـحـان ولذا قـال جل شـأنه ﴿ وجـعلنا بـعضكم لبعض فتنة أتصبرون وكان ربك بصيرًا ﴾.

ثم إن في الناس الطائش الأهوج والغر المأفون الذي تستخـفه التوافه فيـتعـجل ويكون لسـانه وفعله قبل قلبه وعقله، بل يـهذي بكلام ويشط في أفعال يحتـاج بعدها إلى اعتذار فيقع فيما نهى عنه المصطفى ﷺ بقـوله: «ولا تكلم بكلام تعـتـذر منه غدًا». [رواه أحمد وابن ماجه].

إذ لا ينفعك الاعتذار حينئذ لأنه إذا اشتد به الغيظ أفسد الأمور في غيبة وعي، وغلبت عاطفته فلم يدع لإصلاحـها مكانًا، فإن نسي اشتد هوجًا، وإن ذكر اكتظ غيظًا وهذه هي علة الحمق الكافية.

فلا ينبغي للمسلم أن يضيق بتصرف قطعان متناثرة لا عـقل لهـا بل إن المصلح الحكيم يفيض من أناته على ذوي الفسق حتى يلجئهم إلى الخير إلجاءً، فيطلق ألسنتهم تلهج بالثناء والذكر الحسن.

الطريق الموصل إلى الله واحد!!

إن المؤمن الصادق في إيمانه ينبغي له أن يعلم خـصـائص هذا الدين وحـقـائقـه حتـى لا يضل أو

* الابتـــلاء سنة ربانيـــة جـارية، فـلا يخلو المرء من كـوارث تصيـبـه، أو شـدائد تحلُّ بساحته!!

* * *

* إن من ألد أعـداء الإسـلام المحاربين له أولئك المنافقين الذين يتـسـتـرون بالإسلام ويلبسون ثياب أهل الإيمان، وهم على قلوب أهل الزيغ والخسران!!

* * *

* الاعتصام بالكتاب والسنة بفـهم سلف الأمــة ولزوم الجـمـاعـة من الأسـبـاب العظيـمـة لدرء الفتن التي تنزل بنا!!

يُضل.. وأن الطريق الموصل إلى الله واحد لا يتعدد وهو الصراط المستقيم حيث قال عز وجل: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام:١٥٣].

وأن كل طريق غيره على رأسه شيطان إلا أن من عرف الطريق إلى الله معرفة صحيحة فقد نجا، ومن انحرف عنه وسلك غيره فقد ضل ضلالا بعيدًا.

«التوبة من الذنب»

ومما لا شك فيه أن كل بني آدم خطاء، وأننا نذنب بالليل والنهار، وأننا بحاجة دائمة إلى مغفرة الله.. والله لا يغفر لكل أحد!! وأنه سبحانه قد وصف نفسه بأنه لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء، وأنه سبحانه غفار لمن تاب وآمن وعمل صالحًا، ثم اهتدى فالتوبة والإيمان والعمل الصالح والاستقامة من فعلها فقد وجبت له المغفرة. وكل ذنب تحتاج بعده إلي الاستغفار؛ ثم التوبة إلى الله والندم والإقلاع والعزم على عدم العودة إلى ذلك الفعل القبيح.

وليعلم العبد المسلم أن ما هو أقبح من الذنب. الاستهانة به فيراه صغيرًا، وهو عند الله عظيم.

وليعلم المسلم أن اليقين بوعد الله هو الذي يعلو بالمؤمنين فيكونون في الدنيا عبيدًا لله تعالى يبذلون المال والوقت والجهد، بل النفس والدم لمرضاة الله تعالى والموقن بالوعد وقّاف عند حدود الله، مطيع لشرعه، ممتثل لأمره، مجتنب لنهيه، متباعد عن حرماته، والله سبحانه وعد فقال: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ﴾ [غافر:٥١]، وقال: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لاَ يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ [النور:٥٥].

واللجوء إلى الله - تعالى - فإن كثيرًا من الخلق لا يكون بينه وبين الفتنة إلا شعرات، فما ينقذه من الوقوع فيها إلا لجوؤه إلى ربه واستغاثته به، ومقاومة أسباب الفتن بالطرق السليمة الصحيحة فربما وقع في الفتنة وهو لا يدري، فيندم بعد ذلك، يوم لا ينفع الندم!!.

الثقة بنصر الله وخذلان المنافقين!!

إن الاعتصام بالكتاب والسنة بفهم سلف الأمة ولزوم الجماعة لهما من الأسباب العظيمة لدرء الفتن التي تنزل بنا والثقة بنصر الله تعالى للمؤمنين، واليقين بأن المستقبل لهذا الدين مهما تكالب عليه الأعداء والحاقدون، ومهما داهمته الفتن واجتمعت عليه الرزايا والمحن، والثقة بنصر الله تقتضي أن يعرفها المسلم ويسعى مع ذلك لخدمة دينه والدفاع عن أبناء ملته من المستضعفين من المؤمنين في كل مكان وأن الله سبحانه إذا علم من العبد صِدْقَه في ذلك وفقه وأعانه، ويسر له السبل مهما بلغت مشقتها فإنه بيده وحده مقاليد الأمور وهو الذي يقول للشيء كن فيكون وهو سبحانه الغالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين!!

الإعلام بسير الأعلام

حماد بن سلمة

بقلم/ مجدي عرفات

اسمه ونسبه:

هو حماد بن سلمة بن دينار أبو سلمة البصري النحوي البزاز الخرقي مولى آل ربيعة بن مالك وابن أخت حميد الطويل.

مولده:

ولد سنة إحدى وتسعين تقريبا في حياة أنس بن مالك رضي الله عنه.

شيوخه:

سمع من خاله حميد الطويل وابن أبي مليكة وأنس بن سيرين وثابت البناني وأبي عمران الجوني، وقتادة بن دعامة ويعلى بن عطاء وسهيل بن أبي صالح وأيوب السختياني وعمرو بن دينار وأبي الزبير المكي وأمم كثيرين.

تلاميذه والرواة عنه:

روى عنه ابن جريج وابن المبارك ويحيى القطان وعبد الرحمن بن مهدي والقعنبي وموسى بن إسماعيل التبوذكي وغيرهم.

ثناء العلماء عليه: قال وهيب بن خالد: حماد بن سلمة سيدنا وأعلمنا.

قال يحيى بن معين: حماد بن سلمة ثقة وقال: إذا رأيت إنسانا يقع في عكرمة وحماد بن سلمة فاتهمه على الإسلام.

وقال علي بن المديني: هو عندي حجة في رجال وهو أعلم الناس بثابت البناني وعمار بن أبي عمار ومن تكلم في حماد فاتهموه في الدين.

قال شعبة: كان حماد بن سلمة يفيدني عن محمد بن زياد.

قال حجاج بن منهال: حدثنا حماد بن سلمة وكان من أئمة الدين.

قال علي بن المديني لم يكن في أصحاب ثابت أثبت عن حماد بن سلمة.

قال أحمد بن حنبل: حماد بن سلمة عندنا من الثقات ما نزداد فيه كل يوم إلا بصيرة، وقال: إذا رأيت الرجل يغمز حماد بن سلمة فاتهمه على الإسلام فإنه كان شديدًا على المبتدعة.

قال البيهقي: فأما حماد فإنه أحد أئمة المسلمين.

قال ابن حبان: حماد بن سلمة الخزاز: من العباد المجابي الدعوة في الأوقات، لم ينصف من جانب حديثه واحتج بأبي بكر بن عياش... ثم قال: ولم يكن مثل حماد بالبصرة ولم يكن يثلبه إلا معتزلي أ وجهمي لما كان يظهر من السنن الصحيحة وأني يبلغ أبو بكر بن عياش مبلغ حماد بن سلمة في اتقانه أم في جمعه أم في علمه أم في ضبطه.

قال عبد الرحمن بن مهدي: حماد بن سلمة صحيح السماع حسن اللقى أدرك الناس لم يتهم بلون من

الألوان ولم يلتبس بشيء أحسن ملكة نفسه ولسانه ولم يطلقه على أحد ولا ذكر خلقًا بسوء فسلم حتى مات.

قال أبو نعيم: ومنهم المجتهد في العبادة، المعدود في الإمامة أبو سلمة حماد بن سلمة، كان لخطير الأعمال مصطنعًا وبيسير الأقوات مقتنعًا.

قال الذهبي: كان مع إمامته في الحديث إمامًا كبيرًا في العربية فقيهًا فصيحًا رأسًا في السنة صاحب تصانيف. وقال: كان بحرًا من بحور العلم وله أوهام في سعة ما روى وهو صدوق حجة إن شاء الله وليس هو في الإتقان كحماد بن زيد وتحايد البخاري إخراج حديثه حديثا خرجه في الرقاق فقال: قال لي أبو الوليد: حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس عن أُبيّ، ولم ينحط حديثه عن رتبة الحسن، ومسلم روى له في الأصول عن ثابت وحميد لكونه خبيرًا بهما.

وقال ابن حجر: ثقة عابد أثبت الناس في ثابت وتغير حفظه بأخره.

من أحواله وأقواله:

قال عبد الرحمن بن مهدي: لو قيل لحماد بن سلمة إنك تموت غدًا ما قدر أن يزيد في العمل شيئًا.

قال الذهبي: كانت أوقاته معمورة بالتعبد والأوراد.

قال عفان: قد رأيت من هو أعبد من حماد بن سلمة لكن ما رأيت أشد مواظبة على الخير وقراءة القرآن والعمل لله تعالى منه.

قال موسى بن إسماعيل التبوذكي: لو قلت لكم: إني ما رأيت حماد بن سلمة ضاحكًا لصدقت، كان مشغولا إما أن يحدث أو يقرأ أو يسبح أو يصلي. قد قسم النهار على ذلك.

قال يونس بن محمد المؤدب: مات حماد بن سلمة في الصلاة في المسجد .

قال العجلي: كان حماد بن سلمة لا يحدث حتى يقرأ مئة آية نظرًا في المصحف.

قال مسلم بن إبراهيم: سمعت حماد بن سلمة يقول: كنت أسأل حماد بن أبي سليمان عن أحاديث مسندة والناس يسألونه عن رأيه فكنت إذا جئته قال: لا جاء الله بك.

قال آدم بن أبي إياس: شهدت حماد بن سلمة ودَعَوْه - يعني الدولة - فقال: أحمل لحية حمراء إلى هؤلاء؟ والله لا فعلت.

قال الذهبي: وروى أن حماد بن سلمة كان مجاب الدعوة.

قال التبوذكي: سمعت حماد بن سلمة يقول: إن دعاك الأمير لتقرأ عليه (قل هو الله أحد) فلا تأته.

وقال حماد: من طلب الحديث لغير الله مُكِرَ به.

عاد حماد بن سلمة سفيان الثوري فقال سفيان: يا أبا سلمة أترى الله يغفر لمثلي؟ فقال حماد: والله لو خيرت بين محاسبة الله إياي وبين محاسبة أبوي، لاخترت محاسبة الله وذلك لأن الله أرحم بي من أبوي.

روى عبد العزيز بن المغيرة عن حماد بن سلمة أنه حدثهم بحديث نزول الرب عز وجل، فقال: من رأيتموه ينكر هذا فاتهموه.

قلت يعني حديث أبي هريرة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ينزل الله كل ليلة إلى السماء الدنيا إذا كان نصف الليل... الحديث» في الصحيحين وهذا من أحاديث الصفات التي نؤمن بها على حقيقتها من غير تكييف أو تمثيل أو تعطيل ولكن نزول يليق بجلاله سبحانه وتعالى.

حماد بن زيد يقول: ما كنا نأتي أحدًا نتعلم منه شيئًا بنية إلا حماد بن سلمة، ونحن نقول اليوم ما نأتي أحدًا يعلم شيئًا بنية غيره.

قال حماد: أخذ بيدي إياس بن معاوية وأنا غلام فقال: لا تموت حتى تقص، أما إني قد قلت هذا لخالك - يعني حميدًا الطويل - فما مات حميد حتى قص، والقاص هو الواعظ، وعامة القصاص فيهم ضعف في الحديث، ولكن حمادًا كان ثقة والله أعلم.

وفاته:

توفي رحمه الله سنة سبع وستين ومئة وله ست وسبعون سنة والله أعلم.

المراجع: مسند ابن الجعد - حلية الأولياء.

سير أعلام النبلاء - تهذيب الكمال - تقريب التهذيب.

آخر درس ألقاه الشيخ عقب صلاة الفجر البدر في حديث الفجر (١)

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه، بسم الله الرحمن الرحيم، ونحمد الله عز وجل ونصلي على أفضل خلقه وخاتم رسله وسيد أصفيائه وإمام أنبيائه سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه واستن بسنته وسار على طريقته، وانتهج نهجه إلى يوم الدين.. أما بعد:

أيها الأخوة الأحباب الكرام: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وحديثنا إن شاء الله وبعونه وحوله وطوله ومدده وقوته وتوفيقه، هو حول ما أخرجه البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: جاء جماعة من الفقراء إلى النبي #، فقالوا: يا رسول الله، ذهب أهل الدثور بالأجور والدرجات العلى، يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ولهم فضول أموال يتصدقون بها ولا نتصدق ويعتقون ولا نعتق، فقال #: «ألا أدلكم على ما إذا فعلتموه أدركتم من سبقكم وسبقتم من معكم، ولم يأتِ أحدٌ يوم القيامة بمثل ما عملتم إلا أحدٌ عمل بما عملتم أو زاد عليه؛ تسبحون وتحمدون وتكبرون دبر كل صلاة ثلاثًا وثلاثين وتمام المائة أن تقولوا: لا إله إلا الله».

التنافس في الخيرات والمسارعة في القربات !!

الحديث فيه فوائد جمة، ووصايا هامة، وفيه من السنن والأعمال ما يرفع درجة العبد ويُعلي عند الله منزلته، والحديث دالٌ على ما تخلّق به أصحاب النبي ﷺ، حيث رباهم على حب الدرجات وعلى التنافس في الخيرات، وعلى المسارعة إلى القربات، فها هم الفقراء لا يجدون ما يكفيهم في حاجاتهم الأساسية من المطعم والمشرب والملبس، ويهون ذلك عليهم، وإنما يعز عليهم ألاّ يجدوا من فائض المال ما يتقربون به، فيجدون أنهم تساووا مع الأغنياء في الصوم والصلاة- «يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم»، ولكن الأغنياء وظّفوا أموالهم فيما يرضي ربهم، فهم يقولون: ولهم فضول أموال يتصدقون، فلم يَنْفُسُوا عليهم أنهم كانوا أصحابَ عِزٍّ في الدنيا، ولا أصحاب مالٍ يرتفعون به على الناس، إنما نَفِسُوا عليهم أنهم كانوا يجدون من المال ما يتقربون به إلى الله، بينما هؤلاء لا يجدون. وهكذا الإسلام. لما تربى الصحابة الكرام على حب القربات، قطعت هذه الرغبة الحواجز الأصلية، فنافس الفقراء الأغنياء، قطعت حاجز المال، وقطعت حاجز الجنس، فنافس النساءُ الرجال، فقُلن: يا رسول الله،

نتنافس اليوم أيُّنا أكثر للمال جمعًا، وأينا أكثر كنزًا ولا نتنافس أينا أكثر تقربًا وتصدقًا، ونتنافس على أعراض الدنيا ولا نتنافس علي كتاب الله !!

ذهب الرجال بحظنا منك فاجعل لنا يومًا تعلمنا فيه، وقُلن أيضًا: يا رسول الله، الرجال يشهدون معك الجُمعَ والجماعات، ويخرجون معك إلى الغزوات، ولهم على ذلك الأجر الجزيل، فماذا لنا؟ قال: اعلمي يا امرأة، وأَعْلِمِي من وراءَك أن حسن تبعل المرأة لزوجها يعدل ذلك كله، ونَفِسَ الضعفاء على الأقوياء، والصغار على الكبار، والمرضى على الأصحّاء، فها هو عبد الرحمن بن عوف يوم بدرٍ يقول: نظرت عن يميني فإذا غلام، وعن يساري فإذا غلام، فخشيت أن يؤتى المسلمون من قِبَلِي، فإذا الذي عن يميني يقول لي: يا عم، أتعرف أبا جهل؟ فقلت له: نعم، وما حاجتك به؟ قال :علمت أنه كان يعادي رسول الله ﷺ ويؤذيه، حلفتُ إن رأيتُه ألا يفارق سوادي سواده، حتى يُقتل الأعجلُ مِنَّا، وإذا الذي عن يساري يقولُ مثلَ ذلك، فعلمت أني بين فارسين، وكذلك هذا عمرو بن الجموع وكان أعرج شديد العرجة يقول لأبنائه: إني أريد أن أخرج مع رسول الله ﷺ إلى الغزو، فيقولون: يا أبانا، إن الله قد عذَّر فيك ونَحن أربعة فتيان شبان أقوياء نكفيك القتال، فغضب الرجل وقال لرسول ﷺ: إن أبنائي هؤلاء يمنعوني الجنة، فلما سأله فأجابه قال: قال رسول الله ﷺ: أما أنت فقد عذَّر اللهُ فيك، وأما أنتم فلا عليكم أن تدعوه لعل الله أن يرزقه الشهادة، فلما دخل الغزوة فقتل قال رسول الله ﷺ: رأيته يمشي برجله في الجنة لا عرجةَ فيها.

التنافس اليوم على أعراض الدنيا !!

انظر إلى هذا التنافس!! نتنافس نحن اليوم أينا أكثر للمال جمعًا، وأينا أكثرُ كَنْزًا، ولا نتنافس أينا أكثر تقربًا وتصدقًا، نتنافس اليوم أينا أفخر طعامًا وأعلى شأنًا، لا نتنافس أينا أكثر بذلاً، وأينا أكثر عطاء، نتنافس اليوم على أعراض الدنيا، لا نتنافس على كتاب الله!! أينا الذي جمعه؟ أينا الذي علمه؟ لا نتنافس في أمور القربات!! إنما نتنافس في الفانية، في الزائلة. وكلنا عنها راحل، وكلنا لها تارك.

انظر كيف ربى النبي ﷺ أصحابه على التنافس في الخيرات؛ لأن الله عز وجل قال: ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾.

البخيل يبخل بعمره عن نفسه، ويعطيه للشيطان يستأنس به ليضله ويضيع عليه عمل الصالحات !!

الأغنياء بالإنفاق والصدقة والصلاة !!

فجاء هؤلاء الفقراء يشكون في لوعة وحسرة إلى رسول الله ﷺ أن الأغنياء سبقوهم إلى الجنة، فيقول لهم رسول الله ﷺ؛ فهو الطبيب الذي علمه ربه، وهو الذي بعثه رب العزة بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، يقول لهم: ألا أدلكم- والاستفهام هنا ليس على بابه- وإنما هو استفهام للتحريض، والحث- ألا أدلكم، على ما إذا ما فعلتموه أدركتم من سبقكم- يعني أدركتم الأغنياء المنفقين المتصدقين المصلين- وسبقتم من معكم- أي الفقراء المصلين الصائمين، ولم يأتِ أحدٌ بمثل ما عملتم- وهو الذي سيذكره من التسبيح والتحميد والتكبير دبر الصلوات- إلا أحدٌ عمِلَ بما عملتم، أي كان له مثل ذلك من التسبيحات والتحميدات والتكبيرات- أو زاد عليه- لا تظن أن زاد عليه أن سبح أربعًا وثلاثين بدل ثلاثًا وثلاثين، أو زاد عليه فذكر: لا حول ولا قوة إلا بالله ثلاثًا وثلاثين مثل هذه! إنما زاد عليه: هذا سبح دبر ثلاث صلوات في اليوم. وهذا سبح دبر أربع، وهذا لم يفوت من الخمس ولا واحدة. هذا: عاش يسبح في تسبيحاته خمسين عامًا، وهذا عاش عشرًا، وذلك عاش مائة، زاد عليه- زاد عمره في الطاعة، أو زاد فحرص على ألا يضيع شيئًا من الجماعة، وإنما حرص على الصلوات وعلى التسبيح في دبرها فنال بذلك علو الدرجات ورفع القدر عند الله.

كم تستغرق منا التسبيحات؟!

ألا أدلكم على ما إذا فعلتموه أدركتم من سبقكم، وسبقتم من معكم ولا يأتِ أحدٌ بمثل ما عملتم، إلا أحدٌ عمل بما عملتم أو زاد عليه!! «تسبحون» أي: تنزهون الله بقوله: «سبحان الله»، وتحمدون، أي تقولون: الحمد لله، تسبحون وتحمدون وتكبرون دبر كل صلاة ثلاثًا وثلاثين، فهذه في جملتها تسع وتسعون، وتمام المائة أن تقولوا: لا إله إلا الله.

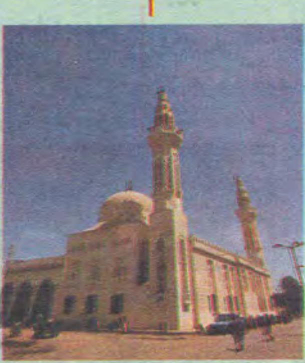

أيها البخيل؛ بم بخلت، وعمن بخلت ؟!

كم تستغرق تلك التسبيحات دبر الصلاة؟ سبحان الله، سبحان الله، سبحان الله، إن الواحدة، بل الاثنتين، كل اثنتين تمر في ثانيةٍ واحدة، فكأنه في الدقيقة يمكن أن يتمها، فإن كان بطيئًا فقال: سبحان الله، سبحان الله، سبحان الله، فإن الوقت الطويل لا يزيد عن ثلاث دقائق.

أيها البخيل بم بخلت وعمن بخلت؟ بخلت بعمرك عن نفسك، ومن أعطيت؟ أعطيت عمرك

أين أنت من التسبيح دبر كل صلاة؟! تعجلت ونظرت إلى حذائك وأسرعت كأنك كنت سجينًا مع أنك في بيت الحبيب، وحرمت نفسك من الأجر!!

الشيطان يستأنس به يُضلك فيضيع الصالحات من العمل التي اجتهدت على قلتها، ويوبقك فيوقعك في سيئات الأعمال ثلاث دقائق!! دقيقة في كل صلاة! خمس دقائق في اليوم والليلة!! عشر دقائق!! فِيمَ تنفق ذلك الوقت؟ تخرج من باب المسجد لتقف في حوار على ناصية البيت عشرات الدقائق!! بل قد تمضي الساعة واقفًا!! فهل تقربت إلى الله؟! مجالس المساجد مجالس الذكر، صليت فيها، فهل جلست تسبح الله في مسجدك، حتى تدخل في تلك المسابقة العظيمة؟ نخسر الكثير من المسابقات، اليوم: يوم جمعة ومن اغتسل في بيته ثم راح في الساعة الأولى فكأنما قرّب بَدَنة، كم تساوي البدنة اليوم: في أسعار أسواقنا اليوم؟ بضعةُ آلاف، إذا أنت تقدمت في التبكير قليلاً نلت كأنك قرَّبت لله بضعة آلاف، لا تنالها يد عابث فيفسدها ولا يدخل عليها الرياء فيهلكها؛ لأنك لا تستطيع أن تريها أحدًا، إنما هو عطاء رب العالمين، أعطاه من امتثل سنة النبي ﷺ، البخيل من بخل عن نفسه، البخيل الذي تاه منه لُبُّهُ وضاع عقله، أعطى الشيطان العمر، فجرهُ الشيطان فلم يُدخلْهُ إلا فيما يوبقه، تسبحون: من راح في الساعة الأولى فكأنما قرب بدنة، ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرّب بقرة، ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرَّب كبشًا أقرن، ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرّب دجاجة، فيا مُقرب الدجاجة نلت، ولكنك ضيعت، ضيعت البدنة، وأكثر منك في التضييع من لم ينل إلا بيضة!! فأينا.. الذي يقبل على ربه فيتدبر؟ أينا الذي يُحيل حياته إلى ذكر وطاعة؟ وأينا الذي تدخل في حياته المؤذيات المفسدات؟ فلا ينال من ربه رفعة.

أين نحنُ من هذه القربات ؟!

انظر إلى الذي معه عملة ذهبية: قليلة في حجمها، خفيفة في وزنها، عظيمة في قدرها، والذي معه عملة من البرونز أو النحاس، ثقيلة في وزنها، كبيرة في حجمها، ضئيلة في مقدارها، فأنت يا من تختار أعمال السنة: العمل في سنة!! يجعل السلعة كالذهب ثقيلة في وزنها وإن كانت في اليد خفيفة، عظيمة في مقدارها وإن كانت توضع في الجيب، فلا يصعب على الإنسان حملها، فأين أنت من هذه القربات؟ إنها كثيرة، إنها كثيرة، فمن الراغب؟ الراغب يقبل، والمحروم يعرض، فانظر يوم الجمعة عندما يصعد الإمام إلى المنبر، فإذا صعد جلست الملائكة فطويت الصحف، فلم تكتب داخلاً إلى المسجد بعد صعود الإمام إلى المنبر، كم من داخل بعده؟ محروم.. محروم، حُرِمتَ من أن يُكتب اسمك في صحف الملائكة، فتعرض الصحف خالية من اسمك، أين كنت؟ وماذا فعلت؟ أين أنت ممن قرب البدنة، بل أين

ممن قرب البيضة؟ أين أنت؟ فأنت لم تنل من ذلك شيئًا!! ينفض سوق العطاء، وخرجت صفر اليدين، أين أنت من التسبيح بعد الصلاة؟ تعجلّت فنظرت إلى حذائك وأسرعت كأنك كنت سجينًا تريد التخلص من ذلك السجن الذي دخلته، مع أنك في بيت الحبيب، في بيت الرب القريب، في بيت من يجيب الدعاء، في بيت من يرفع الرجاء، في بيت رب العزة سبحانه، في بيت الذي إذا أصابك المرض لم يأتك بالشفاء إلا هو، في بيت من إذا اشتدت بك الحاجات، لا يصرف الحاجة عنك إلا هو، في بيت رافع القدر، في بيت عظيم الشأن، في بيت من يُعلي من أراد من الخلق في بيت الله، الذي جعل له جنة هي دار نعيمه، وجعل له نارًا هي دار عذابه، أين أنت؟ أين أنت من هذه الأعمال الصالحات، الذي نال ذلك قلبه تطهر بذكر الله، ولسانه تعطر بذكر الله، وأنت شقيت بقولك، وأتعبت نفسك، ولم تنل من الخير الذي وعدك به ربك، ما أجهلك! ما أخسرك!! ما أضعفك!! ستقبل على ربك فتجد نفسك مفلسًا، ويجد غيرك العمل الصالح متكاثرًا.

إذًا ينبغي علينا إخوة الإسلام أن نراعي التنافس في الخيرات والإكثار من القربات.

أسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يرزقنا علمًا نافعًا، وعملاً صالحًا ودعاءً متقبلاً، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

هامش

(١) كان هذا الدرس آخر درس من دروس الفجر التي كان يلقيها الشيخ في قرية ميت حمل، وكان يوم الجمعة ٦ رجب ١٤٢٣هـ الموافق: ٢٠٠٢/٩/١٣م.

معرض ابن تيمية السادس للكتاب

تعتزم مكتبة ابن تيمية إقامة معرضها السادس بمقر المكتبة والذى يبدأ بعون الله تعالى صباح السبت ٢٠ من شعبان ١٤٢٣هـ ولمدة شهر، وستعرض المكتبة كمية هائلة جدًا من التراث - أكثر من ألفى طرد - فيها كتب التراث القديمة الكاملة والنواقص علاوة على أهم منشورات دور النشر السعودية والمصرية، وعلى من يرغب في الحضور التأكد من الميعاد قبل وقته بأسبوع على ت: ٥٨٦٤٢٤٠ و, ٧٧٩٤٢٦٧

والله المستعان.

الإدارة - القاهرة / تليفون : ٥٨٦٤٢٤٠ - ٧٧٩٤٢٦٧

الاحتفال في المساجد بليلة النصف من شعبان وما يسلكه المرشد فيه !!

بقلم

الشيخ: علي محفوظ - رحمه الله

من البدع الفاشية في الناس احتفال المسلمين في المساجد بإحياء ليلة النصف من شعبان بالصلاة والدعاء عقب صلاة المغرب، يقرءونه بأصوات مرتفعة بتلقين الإمام، فإن إحياءها بذلك على الهيئة المعروفة لم يكن في عهد رسول الله صلوات الله وسلامه عليه، ولا في عهد الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، وإنما اشتهر عن خالد بن معدان ومكحول الشامي من التابعين أنهما كانا يجتهدان في العبادة ليلة النصف من شعبان، فاختلف الناس بعدهما في فضل هذه الليلة وإحيائها بالعبادة، فمنهم من أقره، ومنهم من أنكره، والمقرون له فريقان؛ فريق ذهب إلى استحباب إحيائها جماعة في المسجد، ومنهم إسحاق بن راهويه، وفريق يكره الاجتماع لها في المسجد، ولا يكره للرجل إحياءها بالصلاة وحده، واختاره الأوزاعي إمام أهل الشام.

إحياء الليلة بالعبادة !!

استند القائلون بإحياء هذه الليلة بالعبادة إلى أحاديث وردت في فضلها؛ كحديث: «إن الله عز وجل ينزل إلى سماء الدنيا ليلة النصف من شعبان فيغفر لأكثر من شعر غنم بني كلب». أخرجه الدارقطني والإمام أحمد في مسنديهما، وحديث: «إن الله عز وجل يطلع إلى عباده في ليلة النصف من شعبان، فيغفر للمؤمن ويملي للكافر، ويدع أهل الحقد لحقدهم حتى يدعوه». رواه الدارقطني في كتاب السنن، وحديث: «إذا كانت ليلة النصف من شعبان فقوموا ليلها وصوموا نهارها، فإن الله ينزل فيها لغروب الشمس إلى سماء الدنيا، فيقول: ألا من مستغفر فأغفر له، ألا من مسترزق فأرزقه، ألا من مبتلى فأعافيه، ألا كذا، ألا كذا، حتى يطلع الفجر».

المنكرون لفضل الليلة !!

أما المنكرون لفضل هذه الليلة على غيرها، فسندهم في ذلك أنه لم يثبت عندهم في فضلها حديث، فقد صرح علماء الحديث بضعف الحديثين الأولين، وقولهم: الحديث الضعيف يعمل به في فضائل الأعمال ليس على إطلاقه، والحديث الثالث رواه ابن ماجه وعبد الرزاق عن أبي بكر بن عبد الله بن أبي سبرة، وقد قال فيه ابن معين والإمام أحمد: إنه يضع الحديث، نقل ذلك مُحَشِّي سنن ابن ماجه عن الزوائد، ووافقه الذهبي في الميزان بالنسبة للإمام أحمد، وذكر عن ابن معين أنه قال: ليس حديثه بشيء، وقال النسائي: متروك.

وجملة القول أن كل الأحاديث الواردة في ليلة النصف من شعبان دائر أمرها بين الوضع والضعف وعدم الصحة، فقد نقل أبو شامة الشافعي عن القاضي أبي بكر بن العربي أنه قال في كتابه العارضة: «ليس في ليلة النصف من شعبان حديث يعول عليه، لا في فضلها، ولا في نسخ الآجال فيها، فلا تلتفتوا إليه». هذه أقوال العلماء في فضل ليلة النصف من شعبان.

الصلاة المخصوصة !!

وأما الصلاة المخصوصة التي يفعلها بعض الناس في هذه الليلة، فقد ذكر حديثها في الإحياء وقوت القلوب، ولكن قد صرح جماعة من الحفاظ بأنه موضوع، قال الحافظ ابن الجزري في الحصن: «وأما صلاة الرغائب أول خميس من رجب وصلاة ليلة النصف من شعبان وصلاة ليلة القدر من رمضان فلا تصح وسندها موضوع باطل». وقال الحافظ العراقي: حديث صلاة ليلة النصف موضوع على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال الإمام النووي في كتاب المجموع: «الصلاة المعروفة بصلاة الرغائب وهي اثنتا عشرة ركعة بين المغرب والعشاء ليلة أول جمعة من رجب، وصلاة ليلة النصف من شعبان مائة ركعة، هاتان الصلاتان بدعتان منكرتان، ولا يغتر بذكرهما في كتاب قوت القلوب وإحياء علوم الدين،

ولا بالحديث المذكور فيهما، فإن كل ذلك باطل ولا يغتر ببعض من اشتبه عليه حكمهما من الأئمة، فصنف ورقات في استحبابها، فإنه غالطٌ في ذلك، وقد صنف الشيخ الإمام أبو محمد عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي كتابًا نفيسًا في إبطالها فأحسن فيه وأجاد». اهـ.

حكى الإمام الطرطوشي في أصل القيام ليلة النصف من شعبان عن أبي محمد المقدسي قال: لم يكن عندنا ببيت المقدس صلاة الرغائب هذه التي تصلى في رجب ولا صلاة شعبان، وأول ما حدثت عندنا «صلاة شعبان» في سنة ثمان وأربعين وأربعمائة، قدم علينا رجل في بيت المقدس من نابلس يعرف بابن أبي الحمراء، وكان حسن التلاوة، فقام فصلى في المسجد الأقصى ليلة النصف من شعبان، فأحرم خلفه رجل، ثم انضاف إليهما ثالث ورابع، فما ختمها إلا وهو في جماعة كبيرة، ثم جاء في العام القابل فصلى معه خلق كثير، وشاعت في المسجد وانتشرت في المسجد الأقصى وبيوت الناس ومنازلهم، ثم استمرت كأنها سنة إلى يومنا هذا، فقلت له: فرأيتك تصليها في جماعة. قال: نعم، وأستغفر الله منها.

النص على كراهية صلاة الرغائب

وممن نص على كراهة صلاة الرغائب شيخ الإسلام ابن تيمية قال: هذه الصلاة لم يفعلها النبي صلى الله عليه وسلم ولا رغب فيها النبي صلى الله عليه وسلم ولا أحد من السلف ولا الأئمة ولا ذكروا لهذه الليلة فضيلة تخصها، والحديث المروي في ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم كذب موضوع باتفاق أهل المعرفة بذلك. ولهذا قال المحققون إنها مكروهة غير مستحبة. اهـ.

أما صلاة رجب وتسمى صلاة الرغائب فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ما من أحد يصوم أول خميس من رجب ثم يصلي بين العشاء والعتمة اثنتي عشرة ركعة يفصل بين كل ركعتين بتسليمة يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة و﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ ثلاث مرات، و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ اثنتي عشرة مرة، والذي نفسي بيده لا يصلي أحد هذه الصلاة إلا غفر الله جميع ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر وعدد الرمل ووزن الجبال وورق الأشجار ويشفع يوم القيامة في سبعمائة من أهل بيته ممن قد استوجبوا النار).

وأما صلاة شعبان ويسمونها صلاة الخير، فقد روي عن الحسن أنه قال: حدثني ثلاثون من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أن من صلى هذه الصلاة في هذه الليلة نظر الله إليه سبعين نظرة وقضى له بكل نظرة سبعين حاجة أدناها المغفرة.

البرامكة أول من أدخل ذلك فى الإسلام !!

وقال العلامة أبو شامة في الباعث: ومما أحدثه المبتدعون وخرجوا به عما رسمه الدين وجَرَوْا فيه على سنن المجوس واتخذوا دينهم لهوًا ولعبًا: الوقود ليلة النصف من شعبان، ولم يصح فيها شيء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا متلاعب بالشريعة المحمدية راغب في دين المجوسية؛ لأن النار معبودهم. وأول ما حدث ذلك في زمان البرامكة فأدخلوا في دين الإسلام ما يموهون به على الطغام، وهو جعلهم الإيقاد في شعبان كأنه من سنن الإيمان، ومقصودهم عبادة النيران، وإقامة دينهم وهو أخسر الأديان، حتى إذا صلى المسلمون وركعوا وسجدوا كان ذلك إلى النار التي أوقدوها. اهـ.

وقال ابن العربي: أول من اتخذ البخور في المساجد بنو برمك يحيى بن خالد ومحمد بن خالد ملكهما الوالي أمر الدين، فكان محمد بن خالد حاجبا ويحيى وزيرًا، ثم ابنه جعفر بن يحيى وكانوا باطنية فأحيوا المجوسية واتخذوا البخور في المساجد، وإنما تطيب بالخلوق (وهو بالفتح نوع من الطيب).

قال بعض المؤرخين: إن البرامكة زينوا للرشيد وضع المجامر في الكعبة المشرفة ليأنس المسلمون بوضع النار في أعظم معابدهم والنار معبود المجوس، والظاهر أن البرامكة كانوا من رؤساء جمعيات المجوس السرية التي تحاول هدم الإسلام وسلطة العرب وإعادة الملك للمجوس. وإنما فتك بهم هارون الرشيد؛ لأنه وقف على دخائلهم، والحاصل أن إيقاد النار في المساجد لم يكن من عمل السلف الصالح ولا كانت مما تزين بها المساجد، ثم أحدث التزيين بها حتى صارت من جملة ما يعظم به رمضان، واعتقد هذا العامة بسبب ترك الخواص الإنكار عليهم.

بدعة الدعاء فى تلك الليلة !!

وأما الدعاء الذي تجتمع له الناس في المساجد هذه الليلة، فلم يثبت عن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ولا عن أصحابه ولا عن السلف الصالح رضوان الله عليهم أجمعين أنهم اجتمعوا في المساجد من أجله في تلك الليلة، ونسبة هذا الدعاء إلى بعض الصحابة قد شك فيها الإمام أبو حيان وغيره من المحققين كالشيخ محمد عبده رحمه الله، وأصل هذه البدعة ما نقل عن اليافعي أنه قال: إن

أولى ما يدعى به في ليلة النصف من شعبان: اللهم يا ذا المن ولا يمن عليه... إلخ. وعن بعض الصالحين أن أولى ما يدعى به فيها الهي بالتجلي الأعظم في ليلة النصف من شهر شعبان المعظم.. إلخ. فجمع الناس بينهما وروجته المطابع.

شروط المبتدعة لقبول هذا الدعاء !!

وربما شرطوا لقبول هذا الدعاء قراءة يس وصلاة ركعتين قبله يفعلون القراءة والصلاة والدعاء ثلاث مرات يصلون المرة الأولى بنية طول العمر، والمرة الثانية بنية دفع البلايا، والثالثة بنية الاستغناء عن الناس، واعتقدوا أن هذا العمل من الشعائر الدينية، ومزايا هذه الليلة وخصائصها حتى اهتموا به أكثر من اهتمامهم بالواجبات والسنن، فتراهم يسارعون إلى المساجد قبيل الغروب من هذه الليلة، وفيهم تاركوا الصلاة معتقدين أنه يجبر كل تقصير سابق عليه وأنه يطيل العمر ويتشاءمون من فوته، لهذا ينبغي تركه وعدم الاهتمام به.

نعم الدعاء إلى الله تعالى مطلوب في كل وقت ومكان، لكن لا على هذا الوجه المخترع، فنتقرب إليه تعالى بما شرع، ولا نتقرب إليه بالبدع، وما أحسن الدعاء وقت السحر، وقد نامت العيون، وغابت النجوم، وبقي الحي القيوم، يدعو المرء ربه فيه بحاجته، ويناجي مولاه بمطلوبه حاضر القلب خاشعًا ذليلاً، لا مقلدًا فيه ولا حاكيًا لدعاء غيره، فإن ذلك يذهب برقة القلب وحضوره، ومحال أن يستجيب الرب لمن يدعوه وقلبه عند غيره.

الحكمة فى تغيير مثل هذه البدعة

واعلم أنه ليس من الحكمة التشنيع على الناس من أجل اجتماعهم في هذه الليلة للدعاء مع حرصهم عليه واهتمامهم به؛ لما في ذلك من إثارة الفتنة، بل الحكمة أن يسير المرشد في تغيير مثل هذه البدعة الإضافية برفق ولين، وينتهز فرصة هذا الاجتماع فيبين للناس فيها شيئًا من محاسن الدين الحنيف، ويدعوهم إلى مكارم الأخلاق كالصدق والوفاء والإخلاص والأمانة، ويشرح لهم ما في ذلك من سعادة الفرد والمجتمع ويحذرهم مما هم فيه من الرذائل والمعاصي كالكذب ونكث العهود وخلف الوعد والنفاق والخيانة والغش في المعاملة، مبينًا ما فيها من الشقاء والمضار.

ثم يذكر لهم في هوادة ولين وجوه الابتداع فيما يعملون والخطأ فيما يعتقدون، مبينًا ما في هذا الدعاء من المخالفة لصريح القرآن الكريم، فإن الليلة المباركة المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ (٢) إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٣) وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ هي ليلة القدر لا ليلة النصف من شعبان.

قال ابن كثير في تفسيره: هذه الآية ومن قال إنها ليلة النصف من شعبان كما روي عن عكرمة فقد أبعد النجعة، فإن نص «النصف» هي التي قال الله: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾، وأنه ينسخ فيها أمر السنة وتدبير الأحكام إلى مثلها من قابل. والله أعلم، والصحيح من ذلك عندي أنه في ليلة القدر، وبذلك سميت لأن التنزيل يشهد بذلك؛ إذ في أول الآية: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾، ثم وصفها فقال: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾، والقرآن إنما أنزل في ليلة القدر، فكانت هذه الآية بهذا الوصف في هذه الليلة مواطئة لقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾. اهـ.

جمهور العلماء أنها ليلة القدر !!

وقال أبو بكر بن العربي: جمهور العلماء على أنها ليلة القدر، ومنهم من قال: إنها ليلة النصف من شعبان وهو باطل، لأن الله تعالى قال في كتابه الصادق القاطع: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ فنص على أن ميقات نزوله رمضان، ثم عبر عن وقتية الليل هنا، فقال: ﴿فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾. اهـ.

أي أن ابتداء نزوله على النبي صلى الله عليه وسلم كان في رمضان في تلك الليلة المباركة التي سماها الله ليلة القدر.

المراد المحو والإثبات

وظاهر القرآن أيضًا أن الليلة التي يفرق فيها كل أمر حكيم هي ليلة القدر لا ليلة النصف من شعبان، وظاهره أيضًا أن المحو والإثبات في قوله تعالى: ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ﴾، ليس المراد به محو الشقاوة والحرمان واقتار الرزق وإثبات ضدها، وإنما المراد المحو والإثبات في الشرائع بالنسخ والتبديل، فإنه الذي يقتضيه سياق الكلام، وقد روى هذا البيهقي في المدخل وغيره عن ابن عباس وابن جرير عن قتادة، واختاره المحقق الألوسي وقال: إنه المناسب للمقام.

ثم يشير على الناس بدعاء من الأدعية المأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة، ويرغبهم في الاستقلال به مع حضور القلب وخصوصًا في وقت السحر، وبذلك يسهل نقل الناس إلى السنة تدريجيًا.

أعاذنا الله من البدع، والله ولي التوفيق.

حوار مع فضيلة الرئيس العام(١)

* خلاف الهدى مع الضلال مثل الاختلاف الواقع بين أهل السنّة والجماعة وغيرها من فرق الضلال !!

* السلفية منهج وليست ادعاء، لكنه يجوز إتصاف أهل السنة والجماعة بالسلفية!!

* يجب ألا تغفل أن الكون يدبره رب العالمين، فيعلي أقواماً، ويخفض آخرين، ليبلغ دينه في أرضه !!

* ينبغي أن يَعْلَمَ أن منهج أهل السنة والجماعة هو ما ترك عليه النبي ﷺ أصحابه!!

ليس معنى أن يكون الناس على السلفية ألا يقع بينهم اختلاف !!

* الخلاف في المسائل العلمية سواء منها القديم أو المستجد يقع تحت اسم الخطأ والصواب !!

* يشترط لجماعات الدعوة أن يكون منهجها القرآن والسنة بفهم سلف الأمة، وألا تعقد الولاء والبراء على الأسماء والجماعات !!

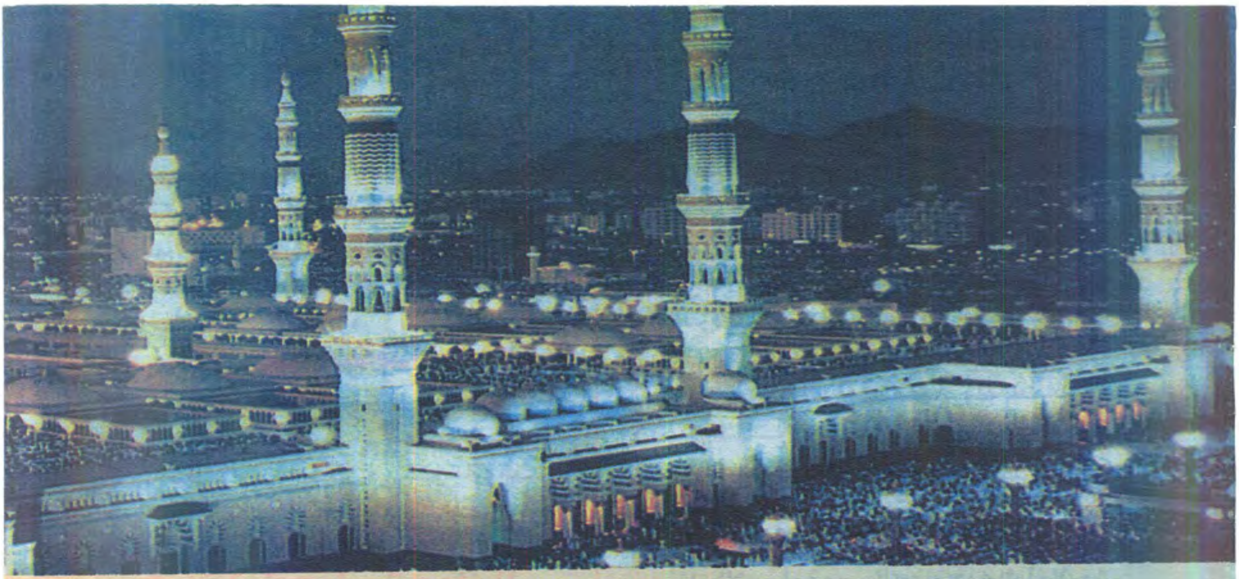

* لابد من وجود التفاعل والترابط بين الجماعة والأزهر والأوقاف، فهم منابر للدعوة ولابد من وجود حوار بيننا وبينهم !!

* أهم عوامل النجاح للداعية أن يكون داعياً ومستوعباً إلام يدعو، وبم يدعو، ومن يدعو، وأن يكون كالمصباح يضيىء للآخرين !!

* الشيخ صفوت نور الدين يرشح من يخلفه في رئاسة الجماعة وحمل المسئولية !!

* ما أحوج الناس إلى فهم الدين فهمًا صحيحًا، وليس التوحيد جانبًا من الدين، بل هو كل الدين !!

* إدعاء الفرقة بين الجماعات دعوة شيطانية لتفريق المسلمين !!

* الشيطان يدعو الناس للبعد عن تلك الجماعات الدعوية بحجة التفرقة وإختلاف الأسماء وهو يريد القضاء على الدعوة والدين، فلا نحمل أخطاء المتبوعين للمؤسسين والمنظرين !!

الحوار الأخير ننشره على صفحات «التوحيد».. حوار أجراه إخوة لنا في الدعوة، ننشر منه اليوم كلمات الشيخ الوالد رحمه الله، حيث صال وجال بفكره المستنير وعقله المضيء وقلبه الفياض، رحم الله الوالد رحمة واسعة، ونفعنا بعلمه. فإلى الحوار:

سئل: ما هي بيانات بطاقتكم العائلية؟

أجاب: الاسم: محمد صفوت نور الدين أحمد مرسي. الميلاد: ٢٠/٦/١٩٤٣م. فصيلة الدم: AB. العمل: متقاعد على المعاش في التربية والتعليم. محل الميلاد: الشرقية- بلبيس. عدد الأبناء: ٣ ذكور- ٦ إناث.

السلفية منهج وليست ادعاء !!

سئل: السلفية مصطلح يدعيه البعض، وينفيه آخرون عن البعض، فما السلفية الحقيقية، وهل هي مرادف لأهل السنة والجماعة؟

أجاب: ينبغي أن يُعلم أن منهج أهل السنة والجماعة هو ما ترك عليه النبي ﷺ أصحابه، وليس معنى أن يكون الناس على السلفية ألا يقع بينهم اختلاف، ولكن هذا الاختلاف له ضوابطه، فيمكن أن نعرف أن الخلاف يقع على أربعة أقسام، منها قسمان يجوز أن يقعا بين أهل السنة والجماعة.

الأول: الخلاف الذي يمدح طرفاه، مثل الخلاف في قراءة القرآن الكريم على أحرفه المختلفة، ومثل الاختلاف في وقت الوتر بعد العشاء، وقبل الفجر، فهذا لا يفسد المنهج.

الثاني: الخلاف في المسائل العلمية، سواء منها القديم أو المستجد، مثل اختلاف الأئمة في فرائض الوضوء، والاختلاف في حكم كشف وجه المرأة، وغير ذلك، فهذا الخلاف يقع تحت اسم الخطأ والصواب.

لذلك لا يجوز أن يعقد على هذه القضايا الولاء والبراء، ولا تكون هي المحور الذي يتعرف به على الملتزم بالسلفية، أو المبتعد عنها، بل إن عقد الولاء والبراء على مثل هذه الخلافات في الفروع العملية من البدع، وهو في ذاته يخرج من السلفية، ويكون ذلك من الجهل.

والقسمان الآخران لا يقعان بين أفراد أهل السنة والجماعة، وهما:

خلاف الهدى مع الضلال، مثل الاختلاف الواقع بين أهل السنة والجماعة وغيرها من فرق الضلال، مثل الخوارج والشيعة، واختلاف الإيمان مع الكفر؛ كاختلاف الإسلام مع الشيوعية والمذاهب العَلْمانية.

والخلاصة أن السلفية منهج، وليست ادعاء، ولا نضع تنظيرًا جديدًا لاسم قديم، وهو أهل السنة والجماعة، وهو الأصل، لكن يجوز اتصاف أهل السنة بالسلفية.

الأصولية .. والعلمانيون !!

سئل: الأصولية مصطلح يُلوِّحُ به العَلمانيون في وجه المتمسكين بالدين، فهل له أصل في ديننا؟

أجاب: ظني أنها مأخوذة من الغرب من النصرانية، حيث افتراق النصارى افتراق بيِّن، والاختلاف العميق بين فرقهم ومذاهبهم، وحينما يريدون وصف من يريد العودة للنصوص الأصلية بالأصوليين كما سموا عصر الدين عندهم بالقرون الوسطى أو المظلمة، لكن يريد العلمانيون أن يغزوا الصحوة بمثل هذه المصطلحات غير الإسلامية؛ أصوليون.. رجعيون.. يمينيون، وهكذا.

مصطلحات التنوير والتجديد !!

سئل: أيضًا مصطلحات التنوير والتطوير والتجديد؛ مصطلحات يواجهون بها الشرع والدين، فهل من ترابط بينها وبين الدين؟

أجاب: أريد ألا نغفل مسألة هامة؛ وهي أن الكون يدبره رب العالمين، فيعلي أقوامًا، ويخفض آخرين، يُبَلِّغ دينه في أرضه، وأن السنن الكونية عاملة، قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ [النور: ٥٥]، وهذا هو الشرط. وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١]، هذه الأحداث التي بنى عليها رب العزة المسائل الكونية، يمهد لها لتقوم.

فمهد الله لقيام موسى رغم عمل فرعون المباشر لقتله، فقتل المئات من أطفال بني إسرائيل، ولم يستطع قتل موسى، بل تربى في بيته، فرب العزة فَعَّالٌ لما يريد، فالقواعد الأصلية ربنا يُكوِّنها حيث يشاء، فقد كانت مصر يَعُمُّ فيها الجهل، حتى حدثت أشياء ما كان أصحابها يقصدون تنوير الناس وتعليمهم، مثل جريدة الشعب والجمهورية أيام الثورة وبعدها طَبَعَتْ هدايا على الجريدة كتبًا علمية مثل البخاري ومسلم وتفسير الطبري، ليرغبوا الناس في شراء الجريدة، فكَوَّن الله عز وجل قاعدة علمية، وإن لم يقصد منشئوها، وإنْ كان هذا واقعًا ضمن التدبير الإلهي الكلي، ليحدث ما أراده الله رب العالمين، فلما وقع انصراف من المسلمين عن دينهم، سلط الله عليهم أعداءهم فاحتلت إسرائيل فلسطين، وكذا الشيوعية سلطها الله على المسلمين حتى انهارت في عقر دارها، ولم يزل الذَّنَبُ في بلاد المسلمين يتحرك، ويحاول الاستمرارية، فيغير جلده وزيه، ويركب معتنقوه موجات أخرى باسم التنوير أو التجديد أو خلافه، حتى يدخلوا على الناس، وينبغي أن نعلم أن الفَعَّال في الكون هو الله، فلا نقلق من هذا ولا نخاف، ولكن نحن نحرص على أن نقوم بمهامنا، وتربية الأبناء، والاعتناء بالدعوة بشتى الوسائل، ونعلم أن الله تعالى سينشر دينه على يد هؤلاء، وإن لم يريدوا، أو يقصدوا؛ لأن الله غالب على أمره، أما أن نشغل أنفسنا بهم فلا، ولكن نشتغل بما يجب علينا من الدعوة للإسلام، فديننا متكامل وشامل، وغني؛ لأنه دين الغني رب العالمين، فالتنوير والتطوير والتجديد، كل هذه المصطلحات يريدون غزونا بها، وإن كان التجديد واقعًا في دين الله، فالله يبعث على رأس كل مائة عام من يجدد للأمة أمر دينها، ولكن شرعنا محكم مرتب بترتيب رب البشر وحكمه.

الاستفادة من التقنيات والفضائيات الحديثة !!

سُئل: ما دور الجماعة في الاستفادة من التقنيات الحديثة.. فضائيات وإنترنت؟

أجاب: اعتاد الأطباء في الطفل إذا بلغ أشهرًا أن يحصنوه ضد أمراض معينة، لو تصورنا أن الطفل يعقل وينطق وقلنا له ماذا حدث لك؟ لنطق بتعذيب أصابه، لا يدري ماذا جنى من أجله، والطبيب ما فعل ذلك إلا إشفاقًا عليه، فكذا ربنا عزّ وجل يحدث من الأشياء ما يدخل ظاهرًا في مصاف المضار، وإنما يوجدها رب العزة رحمة بالناس، كموقف عمر بن الخطاب عند وفاة الرسول ﷺ، يهدد ويتوعد المنافقين، فانسحبوا إلى بيوتهم، فأتى أبو بكر وجمع الناس في بيت بني ساعدة، ويُنَصَّبُ خليفة، ويستتب الأمر والأمن في معزل عن المنافقين، ويعتذر عمر عن مقولته، وكذا إحداث كذبة على رسول الله ﷺ سنة أربعين، صار منها النفع، وترسيخ علم الحديث، وتمييز الصحيح من الضعيف، فالتحصين للأمة يقدره الله عز وجل على مر الأزمان والأجيال، فالأشياء الحديثة التي تخترع من تقنيات، وأجهزة تحدث لأغراض دنيوية، بل ومنهم من يستخدمها لبث السموم، وإثارة الشهوات وإفساد الشعوب، وهؤلاء هم أول من يتسابق إلى هذه التقنيات من فضائيات، وإنترنت، وخلافه.

أريد أن أضرب مثلاً: فالدعاة إلى الله كمثل رجل يركب دابة، يحمل في قرنه تمرًا، يأكل تمرة ويلقي نواتها، يسلي نفسه في دربه الطويل، فمر بعد سنوات عشر، وجد صفًا بديعًا من النخيل، فهل يخطر بباله أنه هو الذي غرس هذا النخل؟ كلا، لكن الله جعل النواة توافق أرضًا طيبة، فأنبتت، كذلك الدعاة ليس لهم إلا إلقاء البذور، والذي يأذن لإنباتها هو الله عز وجل، والآن ظهر على الإنترنت مواقع كثيرة تدعو إلى الإسلام ونشره، وإن كنت أرى أن جماعة أنصار السنة المحمدية تُتَمِّم أعمال الجماعة وأهدافها، ولا تنافسها، فإذا كانت جماعة تحسن كفالة اليتيم لا نقول ننافسها، بل نعاونها في ذلك، ونهتم بأشياء أخرى، وإن كان لنا صفحات ومواقع على الإنترنت تنشر فيها مجلة التوحيد بلغات متعددة، وهناك محاضرات وحوارات ومناقشات تتم على الإنترنت نشارك فيها، وكذلك تأتي عن طريق البريد الإلكتروني، وإن كانت هناك عوائق منها- مثلاً- اختلاف اللغة والتوقيت الزمني من مكان لآخر، ولكن علينا التسديد والمقاربة: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦].

التعاون بين أنصار السنة والجماعات الأخرى!!

سُئل: هل هناك تعاون بين جماعتنا والجماعات الدعوية الأخرى؟

أجاب: الحقيقة أن جماعات الدعوة حتى تؤسس لها شرطان أساسيان:

الأول: أن يكون منهجها القرآن والسنة بفهم سلف الأمة.

والثاني: ألا تعقد الولاء والبراء على الأسماء، فإذا اجتمع الشرطان جاز لها العمل والدعوة إلى الله عز وجل، ولا يضر الجماعة إذا تخصصت في أي أمر من أمور البر والدعوة، أو حتى المجال الاجتماعي، أو الأنشطة الثقافية، ولكن ما أحوج الناس إلى فهم الدين فهمًا صحيحًا، والدين أصله اعتقاد، وليس التوحيد جانبًا من الدين، بل هو كل الدين، فالعامل الذي يعمل لو علم بمراقبة الله لأتقن، والبائع لو يعلم مراقبة الله ما غش، فالتوحيد أمر ضروري، فمسألة تعاون الجماعات أمر مفروض، حتى وإن لم تقم به الجماعة؛ لأن جماعات الدعوة عرض عام يدخل المدعو لي اليوم، ويدخل لغيري غدًا، وقد دخل لغيري بالأمس، وسيميز يومًا ما، فلا بد من الإتقان، والحرص على الدعوة السليمة، حتى تثبت وترسخ دعوتك، ولكن العيب والخلل يأتي من الشباب الصغير، الذي يبحث له عن هوية وانتماء، فإذا أخطأ الشافعية ورفضوا الزواج من الأحناف، فهل المخطئ الإمام الشافعي أم أتباعه؟! فخطأ الفرد لا ينسب للجماعة، فذلك ظلم، كذا ادعاء التفرقة بين الجماعات، دعوة شيطانية لتفريق المسلمين، وللإساءة فيها، فالشيطان يدعو الناس للبعد عن تلك الجماعات الدعوية بحجة التفرقة واختلاف الأسماء، وهو يريد القضاء على الدعوة والدين، فلا نحُمل أخطاء المتبوعين للمؤسسين والمُنَظِّرين، والبعض يرفض التسمية، ويقولون: هذا لا يجوز- فهذا كلام مناقض للفطرة- فالتسمية ليست حاجة أو تكميل، بل هي ضرورة؛ لأنك لا تستطيع أن تجد مجموعة من الناس اجتمعوا على أمر إلا سموا أنفسهم، فإن لم يسموا أنفسهم سماهم الناس، وليس هناك من إنسان عاش إلا وله اسم ووصف.

العلاقة بين أنصار السنة والأزهر !!

سئل: كان لأنصار السنة مع الأزهريين لقاءات وسريعًا ما فترت، فما السبب؟

أجاب: أحيانًا نجد ظهور بعض المسائل تجمع هؤلاء القائمين بأمر الدعوة بإطار واحد، كقضية ضم مساجد الجماعة للأوقاف، فجعل أهمية للحوار، ولا شك أن الوضع يفرض نفسه، فأحيانًا ينشط الحوار، وتبادل وجهات النظر إذا تطلب الأمر، وأحيانًا يفتر لعدم وجود ضرورة لذلك، ولكن أحيانًا نجد في الواقع من خلال العمل في الجماعات لرجال الأزهر بأشخاصهم أو بمناصبهم أعمالاً كثيرة خاصة وأن النوافذ تفتحت على الجماعات، فهناك من ألَّف رسائل علمية في دور الجماعات الدعوية، وأفرادها في الدعوة، أو الفقه، أو التفسير.. وهكذا. إذن فلا بد من وجود تفاعل وترابط وإن فتر أحيانًا.

كلمة عن الشيخ الشوادفي رحمه الله !!

سئل: الشيخ صفوت الشوادفي رحمه الله كان له الأثر البالغ في تطوير دعوتنا، فهل من كلمة عن فضيلته؟

أجاب: صفوت الشوادفي رحمه الله كان شخصية متميزة، كان يجري في عروقه الدعوة إلى الله عز وجل، فلو حللْنا دمه لوجدنا الدعوة تسير في عروقه.

وأوجده الله في مرحلة كنا في أحوج ما نكون له فكرًا وإدارة وتنظيمًا، وترك بصمته وأثره في كثير من إخوانه، فقد كان طاقة لا تهدأ، ولكن نعلم أن الله عز وجل يغني دينه بنفسه، ويقدر الأحداث لسائر خلقه، فلا تموت نفس إلا في أجلها، والله عز وجل يقدر الخير لدينه حيث كان. رحمه الله رحمة واسعة.

انقطاع قوافل الدعوة!!

سئل: قوافل الدعوة.. ما سبب انقطاعها وعدم فاعليتها؟

أجاب: منذ بدأنا قسمنا العمل في المركز العام لإدارات؛ إدارة القرآن، وإدارة الدعوة، وإدارة البحث العلمي.. وهكذا.

فإدارة الدعوة ربما تنشط في معاهد الدعوة، ولا يجعلنا نترك أمرًا آخر، بل هذه الأفكار والبرامج تترك للجان الفرعية للقيام بها، والتنسيق فيما بين الفروع لتفعيلها.

شروط الداعية الناجح !!

سئل: ما هي شروط الداعية الناجح في هذا العصر؟

أجاب: أهم عوامل النجاح أن يكون الداعية واعيًا ومستوعبًا إلام يدعو، وبم يدعو، ومن يدعو،

ويراعي الأولويات في دعوته، متى يوضح، ومتى يسكت، وندعوه أن يكون منتفعًا نافعًا بعلمه، ولا يكون كالمصباح يضيء للآخرين ولا يستفيد هو، بل يكون كحامل المصباح يستضيء لنفسه ولغيره أيضًا.

التفاعل بين الفروع والخطباء !!

سُئل: هل من طريق لتفاعل الفروع والخطباء فيما بينهم، والانسجام دعويًا؟

أجاب: الانسجام بين الفروع ودعوتها عمل اللجان الفرعية، ولكن بعض الفروع متكاسلة دعويًا، ونحاول معالجة هذا القصور بالحوار والتنشيط الدعوي، ولا نستطيع تنحية أحد كما يظن البعض، حتى لا تسألنا بعد ذلك: لماذا يُنَحَّى هذا أو ذاك؟! واللجان الدعوية لها صلاحية التطبيق، وكذلك يمكن للمركز العام مساعدتها.

مشايخ وعلماء تأثر بهم الشيخ !!

سُئل: مَنْ من المشايخ المؤثرين في منهج وأسلوب الشيخ صفوت نور الدين؟

أجاب: الشيخ الذي أثر فيَّ كثيرًا الشيخ محمد خليل هراس، ثم الشيخ عبد الرحمن الوكيل، كان لهما الأثر البالغ، وإنْ كنتُ امتدادًا لأحد فلأبي.

من يرشحهم الشيخ لامتداده!!

سُئل: مَنْ هو امتدادك، أطال الله لنا في عمرك وبارك فيك؟

أجاب: لا أدري، ولا يكون السؤال هكذا، فهناك من هو أحق مني بتلك المكانة والمسئولية، أمثال د. عبد الله شاكر، والشيخ زكريا الحسيني. وهناك من لهم تأثير بالغ أمثال الشيخ إبراهيم السمان.

سُئل: إذا أردت استشارة عالم واحد من الأراضي الحجازية، فمن يكون؟

أجاب: الشيخ عبد العزيز آل الشيخ حفظه الله.

سُئل: إذا أردت استشارة عالم واحد من مصر، فمن؟

أجاب: في المواريث لا أرى أفضل من د. جمال المراكبي، وفي الفقه أو التفسير د. عبد العظيم بدوي.

سُئل: من تحب سماعه من علماء ودعاة العصر؟

أجاب: على الترتيب: محمد بن صالح بن عثيمين، والشيخ الألباني، والشيخ ابن باز، رحمهم اللهِ جميعًا، ورحم الله علماءنا وجمعنا بهم في مستقر رحمته.

سُئل: من الصحوة أو شباب الدعوة؟

أجاب: لا أسمع الشرائط إلا نادرًا، ولكن أحب أن أسمع إخواني في بلبيس.

رؤساء الجماعة منذ النشأة !!

سُئل: رؤساء الجماعة منذ النشأة في سطور؟

أجاب: الشيخ محمد حامد الفقي رحمه الله: رجل دعوة وجهاد، جاهد طويلاً، وأُذِيَ كثيرًا، وأسس دعوة صالحة. الشيخ عبد الرازق عفيفي رحمه الله- كما قال عنه بعض كبار أهل العلم في وقته-: أعلم أهل الأرض في زمانه الشيخ. عبد الرحمن الوكيل رحمه الله: الأديب الموحد. الشيخ رشاد الشافعي رحمه الله: شعلة النشاط المتقدة. الشيخ محمد علي عبد الرحيم رحمه الله: الأب الرحيم. محمد صفوت نور الدين: الفقير إلى الله.

سُئل: ماذا يريد الشيخ صفوت نور الدين كداعية من الشيخ صفوت نور الدين الرئيس العام لجماعة أنصار السنة؟

أجاب: أريد منه أن يترك لمن هو أولى منه بالقيام بهذه المهمة الشاقة.

ونحن نقول والجميع يقول: بل نريد منه استمرارًا واستقرارًا في دعوته وقيادته الرشيدة. حفظك الله ورعاك يا شيخنا.

رحم الله الشيخ الوالد رحمة واسعه.

إنا لله وإنا إليه راجعون

فقدت جماعة أنصار السنة المحمدية بالاسكندرية واحدًا من رجالاتها وهو الشيخ علي محمد حماد عن عمر يناهز ٧٧ عامًا قضى معظمها في الدعوة. وكان يعد من أكبر الاعضاء سنًا بين رجالات الجماعة في الاسكندرية.

رحم الله الفقيد رحمة واسعة وبارك فى عقبه.

هامش

(١) نُشر هذا الحوار في مجلة «الأنصار» ١٤٢٢هـ التي يصدرها فرع أنصار السنة بدمياط.

كفارة اليمين

بقلم / الرئيس العام

آخر محاضرة ألقاها الشيخ قبل وفاته

أخرج البخاري عن زهدم قال لما قدم أبو موسى أكرم هذا الحى من جرم، وإنا لجلوس عنده وهو يتغدَّى دجاجا، وفي القوم رجل جالس فدعاه إلى الغداء فقال: إني رأيته يأكل شيئا فقذرته، فقال له: هلم فإني رأيت النبي ﷺ يأكله، فقال: إني حلفت لا أكله، فقال: هلم أخبرك عن يمينك: أرسلني أصحابي إلى رسول الله ﷺ أسأله الحملان لهم إذ هم معه في جيش العسرة - وهي غزوة تبوك - فقلت: يا نبي الله إن أصحابي أرسلوني إليك لتحملهم. فقال: والله لا أحملكم على شيء، ووافقته وهو غضبان ولا أشعر ورجعت حزينا من منع النبي ﷺ ومن مخافة أن يكون النبي ﷺ وجد في نفسه عليَّ، فرجعت إلى أصحابي فأخبرتهم الذي قال النبي ﷺ فلم ألبث إلا سويعة إذ سمعت بلالا ينادي: أي عبد الله بن قيس فأجبته فقال: أجب رسول الله ﷺ يدعوك فلما أتيته قال: خذ هذين القرينين لستة أبعرة ابتاعهن حينئذ من سعد فانطلق بهن إلى أصحابك فقل: إن الله أو قال: إن رسول الله يحملكم على هؤلاء فاركبوهن، فانطلقت إليهم بهن فقلت: إن النبي ﷺ يحملكم على هؤلاء لكني والله لا أدعكم حتى ينطلق معي بعضكم إلى من سمع مقالة رسول الله ﷺ# فقالوا لي إنك عندنا لمصدق ولنفعلن ما أحببت فانطلق أبو موسى بنفر منهم حتى أتوا الذين سمعوا قول رسول الله ﷺ# منعه إياهم ثم إعطاؤهم بعد فحدثوهم بمثل ما حدثهم به أبو موسى؛

فقلت لأصحابي نسي رسول الله ﷺ يمينه فوالله لئن تغفلنا رسول الله ﷺ يمينه لا نفلح أبدا، فرجعنا إلى النبي ﷺ فقلنا: يا رسول الله إنا استحملناك فحلفت أن لا تحملنا وما عندك ما تحملنا. ثم حملتنا فظننا أو فعرفنا أنك نسيت يمينك فقال إني لست أنا حملتكم ولكن الله حملكم، والله لا أحلف على يمين فأرى غيرها خيرا منها إلا أتيت الذي هو خير وتحللتها، وفي رواية (إلا كفرت عن يميني وأتيت الذي هو خير).

الحديث أورده البخاري في ثلاثة عشر موضعا من صحيحه.

وفي الحديث من الفوائد:

(١) كفارة اليمين مع قدرته على الاستمرار فيها إذا كان غيرها خيرًا منها، يقول ابن حجر: في الحديث استحباب حنث الحالف في اليمين إذا رأى غيرها خيرا منها وانعقاد اليمين في الغضب.

(٢) نسبة الخير إلى الله لأنه الفاعل الحقيقي له.

(٣) جواز الأعراض البشرية على رسول الله ﷺ من غير أن يطعن ذلك في منصب النبوة ولا في البلاغ (أخرج أحمد وأبو داود عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله ﷺ أريد حفظه فنهتن قريش وقالوا أتكتب كل شيء تسمعه ورسول الله ﷺ بشر يتكلم في الغضب والرضا فأمسكت عن الكتابة فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فأومأ بإصبعه إلي فيه فقال: (اكتب فو الذي نفسي بيده ما يخرج منه إلا حق).

وأخرج البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ يوم موت ابنه إبراهيم: (أن العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول إلا ما يرضي ربنا وإنا لفراقك يا إبراهيم لمحزونون).

ومن الفوائد الجلية في الحديث وهي في كثير غيره من الأحاديث: أن السلف الصالح رضوان الله عليهم كانت مجالسهم كلها مجالس تعلم سواء كانت

مجالس طعام وشراب أم كانت مجالس بيع وشراء أم مجالس حوار في البيوت أم الطرقات وكانت أسفارهم إذا اجتمعوا جلسوا للعلم. فحديث هجرة أبي بكر علمه أبو بكر للبراء ووالده عازب عندما اشترى منهم رجلا وهذا تعلمه زهدم في مجلس طعام. فلو حولنا مجالسنا كلها إلى مجالس تعلم لكان في ذلك الخير العظيم في الأسواق والبيوت ولكان الخير للأمة.

(٤) الدجاج لا يحرمه أكل النجاسات مالم تغلب على طعامه. زهدم بصري ثقة له في البخاري حديثان تكررت روايتهما، هذا الحديث وحديث في الفضائل عن عمران بن حصين «خيركم قرني...».

أكل الدجاج

قال ابن حجر: وفي الحديث دخول المرء على صديقه في حال أكله واستدناء صاحب الطعام الداخل وعرضه الطعام عليه ولو كان قليلا لأن اجتماع الجماعة على الطعام سبب للبركة فيه وفيه جواز أكل الدجاج أنسيه ووحشيه وهو بالاتفاق إلا عن بعض المتعمقين على سبيل الورع إلا أن بعضهم استثنى الجلالة وهي ما تأكل القذار وظاهر صنيع أبي موسى أنه لم يبال بذلك والجلالة عبارة عن الدابة التي تأكل الجلة بكسر الجيم والتشديد وهي البعر، وادعى ابن حزم اختصاص الجلاله بذوات الأربع والمعروف التعميم وقد أخرج ابن أبي شيبة بسند صحيح عن ابن عمر أنه كان يحبس الدجاجة الجلالة ثلاثا. وقال مالك والليث: لا بأس بأكل الجلالة من الدجاج وغيره وإنما جاء النهي عنها للتقذر. وقد ورد النهي عن أكل الجلالة من طرق أصحها ما أخرجه الترمذي وصححه وأبو داود والنسائي من طريق قتادة عن عكرمة عن ابن عباس أن النبي ﷺ نهى عن لبن الجلالة وعن الشرب من في السقاء. وهو على شرط البخاري في رجاله إلا أن أيوب رواه عن عكرمة فقال عن أبي هريرة وأخرجه البيهقي والبزار من وجه آخر عن أبي هريرة (نهى رسول الله ﷺ عن الجلالة وعن شرب ألبانها وأكلها وركوبها ولابن أبي شيبة بسند حسن عن جابر: نهى رسول الله ﷺ عن الجلالة أن يؤكل لحمها ويشرب لبنها. ولأبي داود والنسائي من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص: نهى رسول الله ﷺ يوم خيبر عن لحوم الحمر الأهليه عن الجلالة من ركوبها وأكل لحمها». وسنده حسن.

وقد أطلق الشافعية كراهة أكل الدجاجة إذا تغير لحمها بأكل النجاسة. وفي وجه إذا أكثرت من ذلك. ورجح أكثرهم أنها كراهة تنزيه. وهو ما يقتضيه صنيع أبي موسى، ومن

*** إن من رحمة الله الواسعة أن أذن لعباده أن يحلفوا باسمه لتأكيد خبر فى الماضى أو توثيق عزم فى المستقبل !!**

*** من حلف على يمين ثم وقع الحنث منه أو وجد أن غير ما حلف عليه أفضل مما حلف عليه وجب عليه التكفير عن يمينه !!**

*** اليمين هو تأكيد الحالف قوله بالقسم بالمحلوف به الذى يقدر أن ينتقم منه ويعاقبه إن كان كاذباً. ولذلك ترى أكثر العامة يحلفون بالله كذباً غير مبالين !!**

حجتهم أن العلف الطاهر إذا صار في كرشها تنجس فلا تتغذى إلا بالنجاسة، ومع ذلك فلا يحكم على اللحم واللبن بالنجاسة فكذلك هذا. وتعقب بأن العلف الطاهر إذا تنجس بالمجاورة جاز إطعامه للدابة لأنها إذا أكلته لا تتغذى بالنجاسة وإنما تتغذى بالعلف بخلاف الجلالة. وذهب جماعة من الشافعية وهو قول الحنابلة أن النهي للتحريم وبه جزم ابن دقيق العيد عن الفقهاء وهو الذي صححه أبو إسحاق المروزي والقفال وإمام الحرمين والبغوي والغزالي والحقوا بلبنها ولحمها بيضها.

وفي معنى الجلالة ما يتغذى بالنجس كالشاة ترضع من كلبة والمعتبر في جواز أكل الجلالة زوال رائحة النجاسة بعد أن تعلف بالشيء الطاهر على الصحيح وجاء عن السلف فيه توقيت فعند ابن أبي شيبة عن ابن عمر أنه كان يحبس الدجاجة الجلالة ثلاث (انتهى كلام ابن حجر).

مشروعية الأيمان والكفارات

قال تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

إن من رحمة الله الواسعة أن أذن لعباده أن يحلفوا باسمه لتأكيد خبر في الماضي أو توثيق عزم في المستقبل، ذلك أنه إذا وجد العبد الشهود من الخلق أو الكفلاء من الناس فإنه يتخذ منهم الشاهد والكفيل فإذا غاب الشاهد من الناس فالله شاهد لا يغيب وهو قادر على العقوبة للمخالف العاصي والمثوبة للصادق البار، لذا كان من نعمة الله على خلقه مشروعية الحلف بأسمائه وصفاته، ولهذا أيضا كان الحالف بغيره قد نسب الشهود والكفالة والقدرة الكاملة على المثوبة والعقوبة للمحلوف به غير الله وهذا شرك، عند الترمذي بسند صحيح أن ابن عمر سمع رجلا يقول لا والكعبة فقال ابن عمر لا يحلف بغير الله فإني سمعت رسول الله يقول: «من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك» قال أبو عيسى هذا حديث حسن ثم قال والحجة في ذلك في حديث ابن عمر أن النبي ﷺ سمع عمر يقول وأبي وأبي فقال: «ألا إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم»، وحديث أبي هريرة، عن النبي ﷺ انه قال من قال في حلفه واللات والعزى فليقل لا إله إلا الله».

قال الشيخ العلامة محمد حامد الفقي رحمه الله تعالى في تعليقه على فتح المجيد: «وذلك أن حقيقة اليمين والقصد منه: إنما هو تأكيد الحالف قوله بالقسم بالمحلوف به الذي يقدر أن ينتقم منه ويعاقبه إن كان كاذبا ولذلك ترى أكثر العامة يحلفون بالله كذبا غير مبالين فإذا استحلفوا بمن يعظمونه من الموتى والأولياء ويعتقدون له السر والتصرف تكعكعوا وصدقوا وإن كان في ذلك ذهاب بعض ما يحرصون عليه من منفعه يضحون بها خوفا من عقاب وانتقام وتصرف ذلك الولي فيهم. ويؤكدون اعتقادهم هذا بحكايات مكذوبة يذيعها سدنة هذه المعابد الوثنية لجر النفع المادي باعتقاد العامة في أوليائهم، فيحكون أن رجلا سرق سمكة مملحة وأكلها فاستحلفه المسروق منه بالله فاقسم بالله ثلاث مرات بانه لم يأخذها ولم يرها فلم يحصل له شيء فاستحلفه بأحمد البدوي فما كاد يلفظ الاسم حتى سبقت السمكة من بطنه ولفظها وذلك منهم اعتقاد أن البدوي أغير وأعز وأقدر من الله (قبحهم الله وأخزاهم) انتهى.

التكفير عن اليمين

فمن حلف على يمين ثم وقع الحنث منه أو وجد أن غير ما حلف عليه أفضل مما حلف عليه وجب عليه التكفير عن يمينه ويكون التكفير بعد الحنث إذا وقع، وإنما يكون قبله لمن وجد

خيرا مما حلف عليه ويجوز بعده. أما اليمين الغموس فإنه أكبر من الكفارة لذا وجبت فيه التوبة وأوجب بعض أهل العلم الكفارة أيضا راجع باب السنة في عدد شهر رمضان سنة ١٤٢٠هـ.

ففي حديث عبد الرحمن بن سمرة عند البخاري ومسلم من قول النبي ﷺ قال: «وإذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيرًا منها فكفر عن يمينك وائت الذي هو خير».

وفي حديث أبي هريرة عندهما أيضا قال ﷺ «والله لأن يَلِجَّ أحدكم بيمينه في أهله آثم له عند الله من أن يعطي كفارته التي افترض الله عليه».

قال في الفتح: فالحكم يتناول غير الأهل إذا وجدت العلة والله أعلم وإذا تقرر هذا وعرف معنى الحديث في لغو اليمين فلا كفارة عليه ولا إثم. وإن قصدها وانعقدت ثم رأى أن المحلوف عليه أولى من الاستمرار في اليمين فليحنث وتجب عليه الكفارة، فإن تخيل أن الكفارة لا ترفع عنه الإثم فهو تخيل مردود، سلمنا لكن الحنث أكثر إثما من اللجاج في ترك فعل ذلك الخير لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٢٤] والمراد لا تجعل اليمين الذي حلفت أن لا تفعل خيرا - سواء كان ذلك من عمل أو ترك - سببا يعتذر به عن الرجوع عما حلفت عليه خشية من الإثم المرتب على الحنث لأنه لو كان إثما حقيقة لكان عمل ذلك الخير رافعا له بالكفارة المشروعة، ثم يبقى ثواب البر زائدا على ذلك، وحديث عبد الرحمن بن سمرة يؤكد ذلك لورود الأمر فيه بفعل الخير وكذا الكفارة (انتهى من الفتح).

واعلم أن حديث أبي موسى - حديث الباب - فيه أن النبي ﷺ أخبر عن نفسه أنه ما يرى في شيء خيرا قد حلف عليه إلا كفر وأتى التي هي خير فهذه الأحاديث الثلاثة دالة على فضل التكفير لمن وجد الخير في غير ما حلف عليه والله أعلم.

وفي قول النبي ﷺ: «إني لست أنا حملتكم ولكن الله حملكم» مسائل.

الأولى أن أفعال العباد مخلوقة والله سبحانه وتعالى خالقها وخالق كل شيء. قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات:٩٦] وقد ساق البخاري الحديث في كتاب التوحيد لاثبات أن الله خالق افعال العباد ردا على المعتزلة القدرية الذين يزعمون أن العباد هم الذين يخلقون أفعالهم يزعمون أنهم ينزهون الله عن فعل الشر. مع أن الله هو الذي خلق إبليس وهو رأس كل شر والله قال ﴿من شر ما خلق﴾ فالعباد صنعوا وكسبوا أعمالهم والله خالقها. فالقاتل كسب القتل والله هو الذي خلق الموت والحياة. لذا كان من شرع الله «إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار». فلما سألوا ما بال المقتول قيل أنه كان حريصا على قتل صاحبه. فالله خالق كل شيء خلق العباد وأفعالهم وفي حديث استفتاح الصلاة الذي رواه مسلم عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه جاء فيه: لبيك وسعديك والخير كله في يديك والشر ليس إليك...».

الثانية: في قوله ﷺ لست أنا الذي حملتكم ولكن الله حملكم رعاية للأدب كما جاء على لسان إبراهيم: ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (٧٨) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (٧٩) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (٨٠) وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ﴾ [الشعراء:٧٨-٨١]، فنسب المرض لنفسه مع أن كله من الله سبحانه، يقول ابن كثير: أي إذا وقعت في مرض فإنه لا يقدر على شفائي أحد غيره بما يقدره من الأسباب الموصلة إليه.

وكثير من العوام يذكرون ألفاظًا تخالف الأدب في نسبة المرض لله مع نسبة النسيان له سبحانه فيقول (افتكاره رحمة) وهذا جهل وسوء أدب من قائله وفساد في الاعتقاد.

(*) آخر درس القاه الشيخ قبل سفره للعمرة. وقد القاه في مسجد التقوى بقرية الشغانبة يوم الأحد ٨ من رجب ١٤٢٣هـ الموافق ١٥ / ٩ / ٢٠٠٢م

دروس وعبر من تحويل القبلة

بقلم: فتحي عثمان

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين وبعد..

فلقد تعرض الإسلام للبدع ومحدثات الأمور في العقائد والعبادات وغيرها، وكان ذلك بتخطيط ماكر، وكان من بين ما أحاطه الناس بالبدع والخرافات، ليلة النصف من شعبان، بزعم أن تحويل القبلة قد تم فيها، ولكن معرفة الحدث الذي يبني عليه الاعتقاد، والعمل به أولى وأجدر بالعناية من تحديد تاريخه، غير أن كثيراً من البدع التي تصاحب الحدث تطغي على ما فيه من الدروس والعبر، مع أن الثابت من العلم أن القبلة إلى بيت المقدس منسوخة بالتوجه إلى المسجد الحرام، وأن ذلك التحويل كان امتحانًا امتحن الله به قلوب المؤمنين والمنافقين، وأهل الكتاب والمشركين.

-أما المؤمنون فقد اتبعوا الرسول ﷺ وصلوا إلى القبلة الجديدة التي ولاهم الله إياها.

-أما المنافقون فقد أخذوا يرجفون بالمدينة، يحاولون أن يقذفوا بالشك في قلوب المؤمنين، يقولون: ما يدري محمد أين يتوجه، لئن كانت القبلة الأولى حقًا لقد تركها وانصرف عنها إلى غيرها باطلاً، ولئن كانت الثانية هي الحق فقد كان على باطل أول الأمر ثم اهتدى.

-وأما اليهود فقالوا: لقد خالف محمدٌ الأنبياء قبله، ولو كان نبيًا حقًا لكان يصلي إلى قبلة من سبقه من الأنبياء.

-وأما المشركون فقالوا: يوشك محمد- ﷺ- أن يرجع إلى ديننا كما رجع إلى قبلتنا، وما رجع إليها إلا لأنها الحق وكثر لغط السفهاء من الناس وخاضوا في اللغو كثيرًا؛ مصداقًا لقوله تعالى: ﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾.

ومن الدروس والعبر المفيدة والتي ارتبطت بحدث التحويل ما رواه البخاري من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: «بينما الناس في صلاة الصبح بقباء جاءهم رجل، فقال: إن رسول الله ﷺ أنزل عليه الليلة قرآن، وأمر أن يستقبل الكعبة، فاستقبلوها».

وكان وجه الناس إلى الشام فاستداروا بوجوههم إلى الكعبة.

ويذكر الشيخ العلامة محمد خليل هراس رحمه الله أن ابن دقيق العيد ذكر في شرحه على «عمدة الأحكام» جملة من الأحكام الأصولية والفرعية عند الكلام على هذا الحديث المتقدم: منها:

١- قبول خبر الواحد: وعادة الصحابة في ذلك اعتداد بعضهم بنقل البعض، وورد عنهم في ذلك ما لا يحصى، ومعنى ذلك أن خبر الواحد العدل يفيد العلم بمضمونه ويجب

العمل به خلافًا للمتكلمين من المعتزلة وغيرهم.

٢- استدل الظاهرية بهذا الحديث على جواز نسخ الكتاب والسنة المتواترة بخبر الواحد؛ لأن القوم عملوا به ولم ينكر عليهم النبي ﷺ.

٣- جواز نسخ السنة بالكتاب، فإن الصلاة إلى بيت المقدس إنما كان بالسنة؛ إذ لا نص في القرآن على ذلك، وتحويل القبلة إلى الكعبة إنما كان بالكتاب. والمنقول عن الشافعي رحمه الله خلاف ذلك.

٤- دل الحديث على أن حكم الناسخ لا يثبت في حق المكلف قبل بلوغ الخطاب له، فإنهم بنوا ما فعلوه من الصلاة جهة بيت المقدس على بلوغ الخطاب لهم، ولو ثبت الحكم في حقهم قبل بلوغ الخبر إليهم لكانت صلاتهم إلى بيت المقدس باطلة فلا يجوز البناء عليها، بل كان يجب استئنافها.

٥- قد يؤخذ منه أيضًا جواز الاجتهاد في زمن الرسول ﷺ بالقرب منه؛ لأنه كان يمكنهم أن يقطعوا الصلاة ويستأنفوا أو أن يبنوا على ما صلوا فرجحوا البناء.

٦- وفي الحديث أيضًا دليل على جواز مطلق النسخ؛ لأن ما دل على جواز الأخص دل على جواز الأعم.

٧- فيه دليل على جواز تنبيه من ليس في الصلاة لمن هو فيها وأن يفتح عليه القراءة.

٨- قال الطحاوي: في هذا دليل على أن من لم يعلم بفرض الله تعالى ولم تبلغه الدعوة ولا أمكنه استعلام ذلك من غيره فالفرض غير لازم له والحجة غير قائمة عليه.

ويذكر الشيخ أبو الوفاء درويش رحمه الله أن حكمة التحويل ما سوف نذكره فيما يلي:

١- المسلمون خير أمة أخرجت للناس، ورسولهم خير الرسل؛ لأنه خاتمهم وبرسالته تم بناء الدين، وكتابهم خير الكتب، فناسب ذلك أن تكون قبلتهم خير القِبَل، وهو المسجد الحرام.

٢- إن الجهة لا تكون قبلة إلا إذا وجه الله الناس شطرها، فكل جهة وجه الله الناس شطرها فهي قبلة، ولا فضل لجهة على أخرى في ذاتها، ولكن التفضيل يكون باختيار الله تعالى.

٣- أراد الله أن يقطع حجة القائلين بأن صخرة بيت المقدس خير من المسجد الحرام فولى المسلمين- وهم خير الأمم- شطر المسجد الحرام ليثبت أنه خير المساجد.

٤- من تمام النعمة على الأمة التي تعد شريعتها متصلة بشريعة إبراهيم عليه السلام، أن تكون قبلتها هي قبلة إبراهيم ﴿ وَلأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾.

٥- بيان أن البر لا يقف عند حد توليته الوجه شطر جهة خاصة.

٦- بيان أن بعد ما بين الله القبلة يكون اتباع غيرها، اتباعًا للهوى وانصرافا عن الحق، لأن القبلة التي بينها الله هي الحق.

٧- تصديق ما اخبرت به كتب أهل الكتاب من أن النبي ﷺ يصلي إلى القبلتين.

﴿ رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً ﴾.

وصلي الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين.

أطفال المسلمين، كيف

الحلقة التاسعة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

نواصل الحديث- بعون الله تعالى- عن تربية الأطفال، وعن هديه ﷺ في تربية أطفال المسلمين، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

(٤٠) ويؤكد ﷺ على الصدق معهم وعدم الكذب عليهم:

عن عبد الله بن عامر قال: دعتني أمي، ورسول الله ﷺ قاعد في بيتنا، فقالت: ها، تعال أعطيك، فقال ﷺ: «ما أردت أن تعطيه؟» قالت: أعطيه تمرًا. فقال لها: «أمَا إنك لو لم تعطيه شيئًا كُتِبت عليك كذبة»(١).

إن الأطفال يراقبون سلوك الكبار ويقتدون بهم، فلا يجوز خداعهم بأي حال. قال أبو الطيب: وفي الحديث أن ما يتفوَّه به الناس للأطفال عند البكاء مثلاً بكلمات هزلاً أو كذبًا بإعطاء شيء أو بتخويف من شيء حرام داخل في الكذب(٢).

كذلك يراعى الصدق معهم في الحديث عند تسليتهم أو إضحاكهم أو سرد قصص وحكايات عليهم، وينبغي ألا يدخل الكذب في هذا كله.

(٤١) ويترك للصغير فرصة يتلهَّى معه ﷺ:

ربما يمزح الطفل الصغير مع الرجل الكبير، وربما يعبث في ثوبه أو في لحيته، وزجْرُه في هذه الحالة كسرٌ لنفسه وجَرْحٌ لشعوره، وتعويدٌ له على الانطواء والوحدة، لكن مقابلة ذلك بالابتسامة والإعجاب، يُدخل السرور على الطفل، ويشجعه على مخالطة الكبار والاستفادة منهم، كما يربي فيه الشجاعة الأدبية. وقد حدث مثل هذا مع النبي ﷺ: فعن أم خالد بنت خالد بن سعيد بن العاص قالت: أُتِيَ النبي ﷺ بثياب فيها خميصة(٣) سوداء صغيرة، فقال: «مَن ترون أن نكسوَ هذه؟» فسكت القوم، قال: «ائتوني بأم خالد»، فأُتِيَ بها تُحمل فأخذ الخميصة بيده فألبسها(٤). وفي الرواية الأخرى: ثم قال ﷺ: «سَنَه سَنَه». وهي باللغة الحبشية بمعنى: حَسَنة، قالت: فذهبتُ ألعب بخاتم النبوة (بين كتفيه) فزبرني (فزجرني) أبي، قال رسول الله ﷺ: «دعها». ثم قال رسول الله ﷺ: «أبلي وأخلقي، ثم أبْلي وأخْلقي، ثم أبلي وأخلقي». قال عبد الله: فبقيت حتى ذَكَرَ، يعني من بقائها(٥). يعني طال عمرها بدعوة النبي «أبلي وأخلقي» ثلاث مرات، والثوب الخَلِق: هو البالي، وكانت الطفلة الصغيرة أم خالد مع أهلها في هجرة الحبشة، فلذلك داعبها النبي ﷺ بلهجة أهل الحبشة التي تفهمها: «سَنَه سنه».

(٤٢) ويتوعد ﷺ من يدلُّهم على فِعل المنكرات:

من رحمة الله تعالى بالأطفال أنه رفع عنهم التكليف في صغرهم، بل عافاهم من المؤاخذة على الذنوب؛ حتى ينضج الطفل ببلوغه الحلم، فإذا بلغ سجل القلم عليه ما يقول ويعمل.

عن علي وعمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «رُفع القلم عن ثلاثة: عن المجنون المغلوب حتى يبرأ، وعن النائم حتى يستيقظ، وعن الصبي حتى يحتلم»(٦).

ومهما كان الطفل صغيرًا ولم يبلغ الحلم بعد، فإنه لا يجوز لأحد أبدًا أن يدله على فعل ما هو معصية نهى عنها الإسلام أو يغريه بها، كأن يعلمه شرب المسكرات وفعل المنكرات، أو شرب الدخان وفعل القبائح، أو السب والشتم والبذاءة وسيء القول والعمل.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «كل مُخْمِر خمر، وكل مسكر حرام، ومن شرب مسكرًا بُخِست صلاته أربعين صباحًا، فإن تاب تاب الله عليه، فإن عاد الرابعة كان حقًّا على الله أن يسقيه من طينة الخبال صديد أهل النار ومن سقاه صغيرًا لا يعرف حلاله من حرامه كان حقًّا على الله أن يسقيه من طينة الخبال»(٧). وطينة الخبال هي عصارة أهل النار وصديدهم.

وكذلك فإن من ألبس الطفل الصغير حريرًا أو

رباهم النبي الأمين ﷺ ؟

بقلم
جمال عبد الرحمن

ذهبًا فلا إثم على الطفل لارتفاع التكليف عنه، وإنما الإثم على من ألبسه.

(٤٣) ويصحبهم ﷺ في الطريق واعظًا ومعلمًا على قدر عقولهم:

الطفل من حقه أن يصحب الكبار ليتعلم منهم، فتتغذى نفسه، ويتلقح عقله بلقاح العلم والحكمة، والمعرفة والتجربة، فتتهذب أخلاقه، وتتأصل عاداته. وقد كان النبي ﷺ قدوة في ذلك، فعلمنا أنه صحب أنسًا، وكذلكم صحب أبناء جعفر ابن عمه، والفضل ابن عمه. وها هو عبد الله بن عباس، ابن عمه ﷺ يسير بصحبة النبي ﷺ على دابته، فيستفيد النبي ﷺ من تلك الصحبة في الهواء الطلق، والذهن خالٍ، والقلب منفتح، فيعلِّمه كلمات، على قدر سنِّه واستيعابه، في خطاب مختصر ومباشر وسهل، مع ما يحمله من معان عظيمة يسهلُ على الطفل فهمها واستخلاصها، يقول: «يا غلام، إني أعلمك كلمات، احفظ اللَّه يحفظك، احفظ اللَّه تجده تجاهك، إذا سألتَ فاسأل اللَّه، وإذا استعنت فاستعن باللَّه، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء؛ لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه اللَّه لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء، لم يضروك إلا بشيء قد كتبه اللَّه عليك، رُفعت الأقلام وجفَّت الصحف»(٨).

إن النبي ﷺ وهو المعلم الأول؛ يراعي عمر الطفل وقدراته العقلية؛ فيعطيه الجرعة العلمية التي يستوعبها فهمه، ويدركها عقله، فيعتقدها قلبه، وتظهر على سلوكه؛ فيجتمع فيه العلم والعمل.

(٤٤) ويستخدم ﷺ العبارات الرقيقة في محادثتهم لاستمالة قلوبهم:

من عوامل بناء الثقة في الطفل، ورفع روحه المعنوية وحالته النفسية؛ أن يُنادَى باسمه، بل بأحسن أسمائه، أو بكنيته، أو بوصف حسنٍ فيه. وقد كان رسول اللَّه ﷺ قدوةً في ذلك؛ فتارة ينادي الصبي بما يتناسب مع صغره، فيقول: «يا غلام، إني أعلمك كلمات». و«يا غلام سم اللَّه، وكُلْ بيمينك». و«يا غلام أتاذن لي أن أعطي الأشياخ؟» وهكذا. وتارة يناديه بقوله: «يا بنيَّ». كما قال لأنس لمَّا نزلت آية الحجاب: «وراءك يا بني». وقال ﷺ عن أبناء جعفر ابن عمه أبي طالب: «ادعوا لي بني أخي». وسأل أمهم عن صحتهم فقال: «ما لي أرى أجسام بني أخي ضارعة(٩) تصيبهم الحاجة؟»(١٠).

وقد بوَّب أبو داود بابًا في ذلك قال: باب في الرجل يقول لابن غيره: يا بني.

وتارةً أخرى يناديهم ﷺ بالكُنية، فالكنية تكريم وتعظيم، فكان يقول للطفل الصغير الفطيم: «يا أبا عمير، ما فعل النغير؟» لطائر صغير كان يلعب به فمات.

وقد كان أصحاب النبي ﷺ ينادون مَن وُلِد في الإسلام من أب مسلم بقولهم: يا ابن أخي، فقد مدح المسيب البراء بن عازب بصحبة النبي ﷺ وبيعته فقال له: «يا ابن أخي، إنك لا تدري ما أحدثنا بعده»(١١).

وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه يقول للشاب الذي سأله عن أبي جهل: يا ابن أخي، وما تصنع به؟ وكان يريد أن يقتله في غزوة بدر، وقد كان(١٢).

هامش

(١) السلسلة الصحيحة ٣٧٣ .　　(٢) عون المعبود ج١٣، ص٢٢٨

(٣) ثوب مخطط من حرير او صوف .

(٤) البخاري ، كتاب اللباس ٥٣٥٧ .

(٥) البخاري ، كتاب الأدب ٥٥٣٤ .　　(٦) صحيح الجامع ح ٣٥١٢ .

(٧) صحيح الجامع ح ٤٥٤٨ .

(٨) صحيح سنن الترمذي ، كتاب صفة القيامة ح ٢٥١٦ .

(٩) أي : نحيفة .

(١٠) اي : المرض . والحديث اخرجه مسلم، كتاب السلام ، ح ٤٠٧٥ .

(١١) البخاري ، كتاب المغازي ٣٨٥٢ .

(١٢) البخاري ، كتاب المغازي ح ٣٩٨٨ .

تدريبات العزيمة والاستعداد لرمضان

بقلم/ حسين الدسوقي

كان ﷺ يبشر أصحابه بقدوم رمضان فيقول: «شهر رمضان، شهر مبارك، فرض الله عليكم صيامه، تفتح فيه أبواب الجنات وتغلق فيه أبواب الجحيم، وتُغَلّ فيه الشياطين، وفيه ليلة هي خير من ألف شهر من حرم خيرها فقد حُرم» [صحيح الجامع٥٥].

كيف لا يُبَشَّر المؤمن بفتح أبواب الجنان، كيف لا يبشَّر المذنب بغلق أبواب النيران، كيف لا يبشَّر العاقل بزمان يُغَلّ فيه الشيطان، بالله، من أين يشبه هذا الزمان زمانًا؟!!

أخي الحبيب:

أما تشتاق أن تبلغ، هذا الزمان المبارك وتعيشه؟!

إن هبت رياح شوقك أن يبلغك الله هذا الشهر المبارك فاغتنم تلك الرياح وبادر بالعمل. وإياك أن تكسل فالعزم قد يرحل.

وأقبل إلى ربك بهذا الشوق على متن الطاعات وأكثر منها واعلم أن هذا الشوق يبقى ادّعاءً لا حقيقة له وكلامًا لا معنى له إن بقي فينا هذا القعود وهذا الكسل والبرود. إذ المنعدم واقعًا كالمعدوم حِسًا.

فيامن تشتاق إلى أن يبلغك ربك رمضان إياك أن تغفل عن شوقك فيتحول قلبك، إذ أن قلبك ليس في يدك وإنما هو بين يدي ربك.

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ [الأنفال:٢٤].

يا مَن تشتاق إلى رمضان ترجو بلوغه، تبتغي من ورائه مرضات ربك.. أين عدّتُك؟!

أين إعداد الزاد للهجرة إلى ربك وقد قربت أيام المصالحة؟! أين مئونتك وها قد أقبلت أيام التجارة الرابحة؟!

إن لم تترك طريق الغفلة هذا الذي أنت فيه وما تبرح ففي أي وقت بعد هذا الوقت تربح؟!

قال الله تعالى: ﴿ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة﴾

فانظر - رحمك الله - كيف جعل الله الإعداد للعمل علامة للتوفيق على العمل وأمارة للصدق في قصد بلوغ هذا العمل ثم كثر ما استطعت من المئونة فإن الله تعالى يعطي المعونة على قدر ما أعد العبد من المئونة...

إن رمضان سباق. فاز وربح فيه من ربح.

وخاب وخسر فيه من خسر.

والكيس الصادق من أعد للسباق فاجتهد في الإعداد. حتى إذا ما أُعْلِن البدء انطلق لا يلتفت، رافعًا رأسه، غايته أمام عينيه، وشوقه دافعه، والإعداد همته على مواصلة الجد في السباق إلى النهاية.

ولأجل هذا المعنى كان استحباب الصوم في شهر شعبان والاجتهاد فيه بالطاعة قبل رمضان..

يقول ابن رجب رحمه الله: «العبادة في شعبان تمرين على العبادة في رمضان فيحصل العبد حلاوة الطاعة ولذتها ليدخل في رمضان بقوة ونشاط على العبادة بعد أن ذاق حلاوتها وأحسّ لذتها» (لطائف المعارف).

هذا الإعداد بمثابة التمرين للعزائم.

والتي بها يتقوى القلب على الجد والعمل، وتتأهب النفوس على المجاهدة وتتحفز الهمم على المواصلة..

فتكون النوافل قبل الفرائض بمثابة التوطئة، لإعداد النفس على الدخول بالوجه الأكمل والصورة الأتم في الفريضة. كما أشار إلى ذلك الشاطبي رحمه الله في الموافقات. ولكن كم تحتاج هذه التمارين من عزيمة..

عزيمة على القيام بما لا تألفه من المستحبات والمجاهدة على ترك المألوف عندها من المكروهات لنفس طالما اعتادت عند البر والخير الكلل والثقل وألفت القعود أو البطء في النهوض.

تربية العزم تقوم أولا على تبصير العقل وتوعية الإدراك بمعرفة عظيم الفضل والأجر من وراء ذلك العمل.

فاجتهد أن تجدد التذكير للنفس بفضائل الطاعات بألوانها في هذا الشهر. على أن يصحبه مباشرة العمل والمبادرة إليه لتقوى النفس وتسمو عن مراتب الضعف بإرادة الخير التي يغتنمها العبد بمصاحبتها بالممارسة العملية.

يقول ابن القيم رحمه الله:

«وقوة العزم والصبر يتمكن به العبد من الفعل والترك.

فكثيرًا ما يعرف الرجل قدر التفاوت ولكن يأبى له ضعف نفسه وهمته وعزيمته على أشياء لا تنفع، ولا يتم ضعف النفس المؤدي إلى ضعف العزم والصبر إلا بأمرين: قوة الإدراك وشجاعة القلب..

إلى أن قال رحمه الله «فأهل الشر من ضعف الإدراك وضعف النفس ودناءتها، وأصل الخير من كمال الإدراك وقوة النفس وشجاعتها». هكذا أشار رحمه الله في الجواب الكافي.

ومما يساعد على الأخذ بالنفس إلى العزيمة وإعلاء الهمة صحبة ذوي الهمم والعزائم ونبذ الغافلين والبطالين وهذا أمر ربك، قال تعالى: ﴿واتبع سبيل من أناب إليّ﴾ بصحبة الرفيق الأمين الذي يقوم فيك المعوج، ويُصلح منك الفاسد، ويعينك على نفسك وهواك وشيطانك.

وانبذ صحبة البطالين اللاهين قبل أن تكون وبالا وندامة عليك يوم الدين ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً (٢٧) يَا وَيْلَتَا لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلاً (٢٨) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولاً﴾ [الفرقان:٢٧-٢٩].

الإسلام والغرب صراع أم حوار

المؤتمر الحادي عشر للمركز الإسلامي العام لدعاة التوحيد والسنة بمسجد العزيز بالله. بالزيتون

د. جمال المراكبي

امتدت أعمال المؤتمر لمدة سبعة أيام متواصلة، وحاضر فيها لفيف من رجال الفكر الإسلامي والفكر السياسي والاقتصادي على حد سواء، وكان على رأس المحاضرين فضيلة الشيخ محمد صفوت نور الدين الرئيس العام للمؤتمر، واللواء أحمد عبد الوهاب رئيس شرف المركز الإسلامي، واستمع إلى المحاضرات جمع غفير من المسلمين يقدر بعشرات الآلاف، فضلا عن المشاركين عن طريق شبكة الإنترنت.

وكان من أبرز ما تناوله المحاضرون والمحاورون ما يلي:

أولا: الإسلام دين الله الحق

فهو دين الأنبياء جميعا، وخاتمة رسالات الله سبحانه لهداية الناس جميعا، ورسول الله ﷺ خاتم النبيين وإمام المرسلين أرسله الله إلى الناس كافة بشيرًا ونذيرًا وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، بسبيل واضح وصراط مستقيم.

ثانيا: الدعوة الإسلامية وعالميتها

الدعوة إلى الإسلام دعوة إلى الكافة لم تقتصر على مكان دون مكان ولا على زمان دون زمان، وهي على سبيل واضح بالحجة والبرهان والحكمة والموعظة الحسنة ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف:١٠٨].

ثالثا: جهاد المسلمين الأوائل لنشر الدين

لقد جاهد المسلمون الأوائل لنشر دين الله ففتح الله بهم البلاد، وفتح للهداية قلوب العباد ودخل الناس في دين الله أفواجًا، اتسعت رقعة الإسلام وامتدت في مشارق الأرض ومغاربها، بفضل الله ثم بفضل جهود الدعاة المخلصين واجتماع كلمة المسلمين على فهم وتطبيق هذا المنهاج قولا وعملا ودعوة.

والواجب على دعاة المسلمين أن يوجهوا الطاقات ويكثفوا الجهود في هذه الدعوة لهداية الناس. وتعريف صحيح الإسلام دون إفراط أو تفريط.

رابعا: الجهاد وسيلة لإعلاء كلمة الله

لم يكن الجهاد في سبيل الله وسيلة لإكراه الناس على اعتناق هذا الدين، فالله سبحانه وتعالى يقول: ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة:٢٥٦] وآيات القتال لا تعنى الإكراه للدخول في دين الإسلام وإنما قتال أئمة الكفر الذين يصدون عن سبيل الله، ويحولون بين الناس وبين نور الإيمان ﴿فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لاَ أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ﴾ [التوبة:١١]. ﴿لاَ يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٨) إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الممتحنة:٧،٨].

ولهذا لم تدخل جيوش المسلمين أرض الحبشة لأن النجاشي ترك المسلمين أحرارًا في أرضه ولم يكره أحدًا على الإسلام ولم يحل بين الإسلام وبين أحد، بينما كسرى وقيصر كتب إليهم النبى ﷺ يدعوهم بدعاية الإسلام فرفضوا وجيشوا الجيوش لحرب المسلمين.

خامسا: الصراع بين المسلمين أدى بهم إلي الضعف

تعرض المسلمون لأنواع من الصراع والصدام على مدى تاريخهم الطويل للحيلولة دون المد الإسلامي فكانت فتوحات الإسلام في قرون الخير الأولى، فلما اختلف المسلمون فيما بينهم تعرضوا لصنوف من الغزو العسكرى، فكان الاجتياح الصليبي للمشرق العربي من جهة الغرب، وكانت الهجمات التترية المغولية من جهة المشرق. وأخيرًا الاستعمار الغربي لبلاد المسلمين بعد سقوط الخلافة العثمانية في القرن الماضي.

سادسا.. الإسلام تعرض لعمليات تشويه كبيرة

نالت من القرآن والسنة ومن شخص رسول الله ﷺ ومن ثوابت إسلامية، حتى وُصف المسلمون بأنهم أمة وثنية يعبدون الأصنام ويعبدون محمدًا، وبأنهم همجيون، مصاصون للدماء، وكان الهدف من هذا التشويه هو الحيلولة دون انتشار دين الإسلام بين العامة في أوروبا، ومع كل محاولات التشويه والتشويش فإن الإسلام لا يزال ينتشر. ويغزو القلوب حبًا لا قهرًا.

سابعا.. العمل على إبعاد المسلمين عن دينهم

وأدى هذا التشويش لظهور التيارات المعارضة للإسلام في بلاد المسلمين وقويت شوكة هذه التيارات في بعض بلاد المسلمين، ونجحت في تنحية الشريعة الإسلامية عن بعض مناحي الحياة، واختلطت الكثير من العادات والأعراف الفاسدة بمعتقدات كثير من المسلمين وسلوكهم مما ساعد على تكريس الفهم الخاطئ للإسلام.

ثامنا.. أعظم حضارة عرفها التاريخ

أقام المسلمون أعظم حضارة عرفتها البشرية على مر العصور حضارة قامت على أساس الإيمان، وتأسست على العدل حتى مع الأعداء، ودعت إلى مكارم الأخلاق، وكرمت الإنسان ﴿وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ [المائدة:٨].

وكان لهذه الحضارة أكبر الأثر في قيام الحضارة الغربية وإن اتسمت حضارة الغرب بشيء من التسلط والاستغلال وامتصاص ثروات الشعوب الفقيرة، والإنفاق على التسلح بصورة كبيرة، وإيقاع العداوة والبغضاء بين الآخرين والعمل على إثارة الفتن

والحروب والتربح من وراء ذلك حتى قدر بعض الخبراء أن ما ينفق على التسليح في العام الواحد يكفي لإشباع كل الفقراء في العالم.

تاسعًا.. إضعاف الغرب للمسلمين وتفتيتهم

وترسيخ المشاكل الحدودية، وتبني الأفكار المتطرفة البعيدة عن جوهر الإسلام والإبقاء على المسلمين كأمة ضعيفة مشتتة مقطعة الأوصال لضمان استغلالهم واستنزاف ثرواتهم والإبقاء عليهم سوقًا لبضائعهم ولأفكارهم وغزو المسلمين ثقافيًا وفكريًا.

عاشرًا.. الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة شعار الإسلام

لذلك لابد من تأهيل دعاة متخصصين للحوار بمستوياته المختلفة، مع غير المسلمين ﴿ وَلاَ تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾.

حادي عشر.. الحوار لا يعني عدم رد العدوان ممن يرفض الحوار ويصر على الاعتداء

فإذا تعرضت الأمة المسلمة لنوع من العدوان وجب عليها التكاتف لرد هذا العدوان.

﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ [البقرة: ١٩٠].

التوصيات

أولا: الدعاة: يجب على دعاة المسلمين بذل الجهد لمجابهة هذا الانحراف والتشويش، وإعادة عموم المسلمين إلى فهم الإسلام فهمًا سليمًا، والعمل بمقتضاه والاستعانة بأهل الخبرة والاختصاص لوضع المناهج التعليمية التي تُرسخ الفهم الصحيح للإسلام وتجمع بين علوم الدين والدنيا على حد سواء.

والاهتمام بمناهج إعداد الدعاة وتثقيف العاملين بحقل الدعوة الإسلامية واستخدام وسائل التقنية الحديثة في تعليمهم.

واستخدام مفاهيم الإعلام الحديثة ووسائله المختلفة للدعوة إلى إظهار وجه الإسلام المشرق، بما في ذلك القنوات الفضائية وشبكة المعلومات الدولية «الانترنت».

والعمل على تأهيل الدعاة المتخصصين للعمل بين صفوف المسلمين خارج بلاد المسلمين وهم الأقليات المسلمة - وتعلميهم قواعد الإسلام الصحيح وأخلاقيات الإسلام الراقية.

ثانيا: المطلوب من الغرب: ١ - بتقديم الاعتذار عن المظالم والاعتداءات التي تعرضت لها الأمة الإسلامية عبر تاريخها الطويل من حروب صليبية وحروب استعمارية استنزفت الثروات وسفكت فيها الدماء.

٢ - إذا كان الغرب قد أعلن الاعتذار لليهود بصور عديدة، فدفع لهم التعويضات الهائلة، وأقام لهم دولة إسرائيل على أرض فلسطين وشرد العرب من أراضيهم التي عاشوا فيها منذ فجر التاريخ، فالغرب لذلك مطالب اليوم بالاعتذار للمسلمين عن المظالم والمآسي التي لحقت بهم بسبب الحروب الصليبية.

٣ - تعويض الشعوب الإسلامية عن قرون الاستعمار الغربي لبلادهم واستنزاف مواردهم الطبيعية والبشرية.

٤ - تعويض الشعوب الإسلامية عن خسائرها في الحربين العالميتين الأولى والثانية، ولا نزال نرى أثرها في بعض بلاد المسلمين ونحصد ثمارها المرة كما في حقول الألغام التي زرعوها في الصحراء الغربية (٢٢ مليون لغم) وحرمت مصر من زراعة مليوني فدان بالقمح والشعير على ماء المطر.

٥ - الكف عن صور التشويه المتعمد للإسلام والمسلمين وللنبي ﷺ في وسائل الإعلام ومراكز الدراسات الاستشراقية ومناهج التعليم.

٦ - وكذلك الكف عن الخلط المتعمد بين دين الإسلام وعقائده ومثله، وبين سلوكيات بعض المسلمين التي ترجع إلى التقاليد، ولا يقرها الإسلام ولا تحسب عليه.

وقد اعترف بعض المفكرين الغربيين المعاصرين بهذا الخلط، وبأنهم يعتبرون أن دراسة الإسلام تعني دراسة الشعوب والبلاد الإسلامية في واقعها المعاصر، فيسحبون على الإسلام صفة التخلف التي تعيش فيه هذه الشعوب.

٧ - الكف عن سياسة الكيل بمكيالين في مجال السياسة الدولية، وخير مثال على ذلك غض الطرف عن ممارسات إسرائيل العدوانية، والتأييد المطلق لها.

وكذلك في مجال التسلح النووي، حيث تمتلك إسرائيل ترسانة نووية، مع تحريم ذلك وملاحقته على المسلمين بمختلف الذرائع والأعذار.

لأجل ذلك نطالب بإخلاء منطقة الشرق الأوسط من أسلحة الدمار الشامل والبدء بإسرائيل في هذا المجال.

٨ - الكف عن سياسة تجويع الشعوب بذريعة معاقبة الأنظمة الحاكمة كما حدث لليبيا والسودان والعراق وغيرها.

ثالثا: المطلوب من المسلمين: ١ - وأخيرًا نطالب المسلمين شعوبًا وحكومات بالكف عن النزاعات والصراعات عملا بقول نبينا ﷺ: «لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض» فالمسلم أخو المسلم لا يسلمه ولا يظلمه كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه، وعدم مظاهرة غير المسلمين على حرب المسلمين.

٢ - سرعة التحرك للوصول إلى وسائل التأثير المتعددة في المجتمعات الغربية والتحاور مع الناس وتصحيح ما لديهم من معلومات خاطئة ومشوهة عن الإسلام.

ولابد من استثمار وجود الهيئات الدبلوماسية الرسمية الإسلامية في المجتمعات الغربية للإسهام في برامج تغيير الصورة المشوهة وإظهار صورة بديلة من الإسلام وذلك من خلال توجيه هذه الهيئات إلى ما يمكن تسميته بالدبلوماسية الشعبية التي تؤكد صلتها مع شرائح ومؤسسات المجتمع المدني بدلا من الاكتفاء بالصلات مع الدوائر الحكومية فحسب.

وكذلك مشاركة العرب والمسلمين المقيمين في هذه البلدان لهذا الغرض، وإمدادهم بالمال والمعلومات والنشرات اللازمة لهذا العمل الجليل.

وفي الختام فنحن لا نخشى على الإسلام فهو دين الله الخاتم، تولى حفظه فحفظه وأبقاه حتى يرث الله الأرض ومن عليها، ولكن نخشى على المسلمين من جراء التفريط والتضييع.

أسئلة القراء عن الأحاديث

يجيب عنها

أبو إسحاق الحويني

يسأل القارئ: فكري محمود البوشي- دمياط- فارسكور- عن درجة هذا الحديث:
«تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم والقطيفة، تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش» ومعناه؟

والجواب بحول الملك الوهاب: هو حديث صحيح.

أخرجه البخاري في «الجهاد» (٦/٨١)، وفي «الرقاق» (١١/٢٥٣)، ومن طريقه البغوي في «شرح السنة» (١٤/٢٦١)، وابنُ ماجه (٤١٣٥)، وابنُ حبان (٣٢١٨)، والبيهقي (٩/١٥٩ و١٠/٢٤٥) من طرق عن أبي بكر بن عياشٍ، عن أبي حصين- بفتح الحاء المهملة- عثمان بن عاصم، عن أبي صالح، عن أبي هريرة مرفوعًا، فذكره، وبقيتُهُ: «... والخميصة، إن أعطي رضي، وإن لم يُعط لم يرض».

وأخرجه البخاري في «الجهاد» (٦/٨١)، ومن طريقه البغوي (١٤/٢٦١- ٢٦٢) قال: وزاد لنا عمرو، قال: أنا عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار، عن أبيه، عن أبي صالحٍ بهذا الإسناد بالسياق الذي ذكره القارئ.

وعمرو شيخ البخاري هو ابن مرزوق، وقد أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٢٥٩٥) قال: حدثنا أبو مسلم الكشي، والقطيعي في «الفوائد»، ومن طريقه الشجري في «الأمالي» (٢/١٥٤)، قال: حدثنا إبراهيم بن عبد الله البصري قالا: ثنا عمرو بن مرزوق بهذا الإسناد، وأخرجه ابنُ ماجه (٤١٣٦) من طريق صفوان بن سليم، عن عبد الله بن دينار بهذا.

قُلْتُ: كذا رواه عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار وصفوان بن سليم عن عبد الله بن دينار فجعلاه من «مسند أبي هريرة»، وخالفهما الحسن بن دينار فرواه عن عبد الله بن دينار، عن ابن عمر مرفوعًا، أخرجه ابنُ عدي في «الكامل» (٢/٧١٤ و٦/٢٢٧٢) عن محمد بن مناذر، ثنا الحسن بن دينار بهذا، وهذه مخالفة لا قيمة لها، ومحمد بن مناذر قال فيه ابنُ معين: «لا يروى عنه من فيه خيرٌ». وقال ابنُ عدي: «لم يكن من أصحاب الحديث، وكان الغالبُ عليه المجونُ واللهو». والحسن بن دينار متروك الحديث، والصواب أن الحديث من «مسند أبي هريرة». وقد رواه عمرو بن عبد الغفار الفقيمي، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة مرفوعًا. أخرجه ابنُ عديّ (٥/١٧٩٦)، وقال: «هذا غير محفوظٍ عن الأعمش»، وعلّتُهُ: الفقيمي هذا، فإنه متروك. وأخرجه الطبراني في «الأوسط» (٤٠٧٣) عن أبي حازم، والخطيبُ في «تاريخه» (٨/٥٣) عن الحسن البصري كلاهما عن أبي هريرة، ولا يصحّان جميعًا، والتعديل على رواية البخاري. والله أعلم.

ومعنى الحديث: خاب وخسر من جعل جمع المال همه وكده، فلا يصدرُ إلا عنه، ولا يزن الناس إلا به، ولذلك عبر عنه بالعبد، ولم يقل: مالك الدينار، ولا جامع الدينار ليؤذن

بانغماسه في محبة الدنيا وشهواتها كالأسير الذي لا يجد خلاصًا، ومعنى: «وإذا شيك فلا انتقش»، فهذا دعاءٌ عليه أنه إذا دخلت فيه شوكة لم يجد من يخرجها له بالمنقاش. والله أعلمُ.

ويسألُ القارئُ محمد محمود فكري- الروضة- فارسكور عن صحة هذه الأحاديث:

١- «إذا صلى أحدكم الركعتين قبل الصبح، فليضطجع على جنبه الأيمن».

٢- «إن الله كتب كتابًا قبل أن يخلق السماوات والأرض بألفي عام، أنزل منه آيتين ختم بهما سورة البقرة، ولا يُقرأن في دار ثلاث ليالٍ فيقربهما شيطان».

والجواب بحول الملك الوهاب:

أما الحديثُ الأول: «إذا صلى...» **فهو حديثٌ صحيحٌ.**

أخرجه أبو داود (١٢٦١)، ومن طريقه البيهقي (٣٤/٣٠) قال: حدثنا مسدَّدٌ، وأبو كاملٍ، وعبيد الله بن عمر بن ميسرة، وأخرجه ابنُ حزم في «المحلى» (١٩٦/٣) عن أبي داود عن عبيد الله وحده. وأخرجه الترمذي (٤٢٠)، ومن طريقه البغوي في «شرح السنة» (٣/ ٤٦٠- ٤٦١)، وابنُ خزيمة (١١٢٠)، وابنُ حبان (٢٤٦٨)، وابنُ عساكر (٢٥٩/٧١) عن بشر بن معاذ العقديِّ، وأحمد في «مسنده» (٤١٥/٢) قال: حدثنا عفان- هو ابن مسلم- قالوا: ثنا عبد الواحد بن زيادٍ، ثنا الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة مرفوعًا، زاد أبو داود ابنُ خزيمة وابنُ حبان: «فقال له مروان بن الحكم: أما يجزئ أحدنا ممشاهُ إلى المسجد حتى يضطجع على يمينيه؟ قال عبيد الله في حديثه: قال: لا. فبلغ ذلك ابن عمر، فقال: أكثر أبو هريرة على نفسه، قال: فقيل لابن عمر: هل تنكرُ شيئًا مما يقولُ؟ قال: لا. ولكنه اجترأ وجبُنًا. قال: فبلغ ذلك أبا هريرة. قال: فما ذنبي إن كنت حفظتُ ونسوا».

قلت: وهذا إسنادٌ ظاهرهُ الصحةُ، ولكن أعلَّه البيهقي، ونقل ابن عبد البر في «التمهيد» (١٢٦/٨) عن الأثرم قال: «سمعتُ أحمد بن حنبل يُسألُ عن الاضطجاع بعد ركعتي الفجر، فقال: ما أفعلُه أنا. قيل له: لِمَ لم تأخذ به؟ قال: ليس فيه حديث يثبُتُ. قلتُ له: حديث الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة؟ قال: رواه بعضهم مرسلاً». انتهى. وقال الذهبي في «الميزان» (٦٧٢/٢) في ترجمة «عبد الواحد»: «احتجا به في «الصحيحين»، وتجنبا تلك المناكير التي نقمت عليه، فيحدث عن الأعمش بصيغة السماع عن أبي صالح عن أبي هريرة مرفوعًا، وذكر هذا الحديث وعزاه إلى أبي داود.

وهذا التصريح بالتحديث- الذي ذكره الذهبي- لم أقف عليه عند أحدٍ من المخرجين، وقد ذكر العقيليُّ في «الضعفاء» (٥٥/٣) عن أبي داود الطيالسي، وذُكر عنده عبد الواحد بن زياد فقال: عهد إليَّ نقل أحاديث كان يرسلها الأعمش، فوصلها كلَّها يقول: حدثنا الأعمش، قال: حدثنا مجاهدٌ في كذا وكذا. فهذا يدلُّ على أن عبد الواحد وهم في حديث الأعمش عن مجاهد خاصة، وكان الأعمش إذا روى عن صغار شيوخه مثل مجاهد أكثر من التدليس، بخلاف روايته عن أبي صالح، فإنه من جلة شيوخه، ثم هو مكثرٌ عنه. حتى استثناه الذهبي مع غيره ممن يروي عنهم الأعمش، أن يقبل حديثه إذا رواه الأعمش عنه بالعنعنة، كما تراه في ترجمة «الأعمش» من «الميزان»، أما ما رواه العقيلي عن يحيى بن سعيد القطان قال: ما رأيتُ عبد الواحد بن زياد يطلبُ حديثًا قطُّ بالبصرة ولا بالكوفة، وكنا نجلس على بابه يوم الجمعة بعد الصلاة أذاكره حديث الأعمش، لا يعرفُ منه حرفًا». فهذا مقابلٌ بقول ابن معين وسئل عن أثبت أصحاب الأعمش بعد سفيان وشعبة؟ فقال: أبو معاية الضرير وبعده عبد الواحد بن زياد. وقد احتج به الشيخان في حديث عن الأعمش، ولم يقم دليلٌ على أن أحدًا من أصحاب الأعمش الكبار خالفه في هذا الحديث، فإن وجدنا عملنا بمقتضاه، فلو رواه من هو أثبتُ من عبد الواحد بن زيادٍ عن الأعمش فأرسله كما وقع في كلام أحمد، حكمنا لهذا الثبت عليه، إلاَّ أن يقوم مانعٌ. وقول أحمد: رواه بعضهم مرسلاً، فلا ندري من هذا «البعض»، وهل يقدَّم على عبد الواحد أم لا. وأما قولُ المنذري في «تهذيب سنن أبي داود» (٧٦/٢): «قيل: إن أبا صالح لم يسمع هذا الحديث من أبي هريرة، فيكون منقطعًا». وقد سبقه إلى ذلك أبو بكر بن العربي، فقال في «عارضة الأحوذي» (٢١٧/٢): «وحديثُ أبي هريرة معلولٌ، لم يسمعه أبو صالح من أبي هريرة، وبين الأعمش وأبي صالح كلام». اهـ. فأما القول بأن أبا صالح لم يسمعه منً أبي هريرة فلم أقف على قائله من أئمة الحديث الكبار، ولا على دليله. وابنُ العربي رحمه الله، فليس من أحلاس هذا العلم، وله أوهامٌ في تواليفه في التصحيح والتضعيف، والكلام على علل الحديث.

وقد صحَّحه الترمذي وابنُ حزم في «المحلى» (١٩٦/٣) لكنه اشتطَّ في الاستدلال به عَلى فرضية الضجعة بعد ركعتي الفجر. وصحَّحه أيضًا من المتأخرين النووي في «شرح مسلم» (١٩/٦)، وفي «المجموع» (٢٨/٤) على شرط الشيخين.

وقال في «رياض الصالحين» (ص٣٤٣)، وفي «الخلاصة» (٥٣٦/١): «رواه أبو داود والترمذي بأسانيد صحيحة» كذا قال! وهي عبارة يكثر منها النووي ولا معنى لها، وليس للحديث عندهما إلا هذا الإسنادُ الواحدُ. وصححه أيضًا الشيخ المحقق أبو الأشبال أحمد شاكر وشيخنا الألباني في «صحيح الجامع» (١٧١/١). وقد أعلَّه البيهقي بأن محمد بن إبراهيم التيمي رواه عن أبي صالح قال: سمعتُ أبا هريرة يحدثُ مروان بن الحكم وهوَ على المدينة، أن رسول الله ﷺ كان يفصلُ بين ركعتيه من الفجر وبين الصبح بضجعةٍ على شقه الأيمن.

وقد تابعه سهيل بن أبي صالح، عن أبيه بهذا الإسناد.

أخرجه النسائيُّ في «الكبرى» (٤٥٥/١) عن أبي كدينة يحيى بن المهلب وابنُ ماجه (١١٩٩) عن شعبة كلاهما عن سهيل بن أبي صالح بهذا.

قال البيهيُّ: «وهذا أولى أن يكون محفوظًا لموافقته سائر الروايات عن عائشة وابن عباس». اهـ. والأعمش أثبت منهما في أبي صالح. فإن قلت: نعم، ولكن الشأن في الراوي عنه وهو ابن زيادٍ. قلنا: نعم، وقد قدمنا لك أنه أحدُ الأثبات في الأعمش كما قال ابن معين. فالصوابُ :الحكمُ له حتى يظهر لنا أنه قد خالفه من هو أمكنُ منه. فالراجح عندي: صحةُ الحديث بالشرط المذكور. والله أعلم.

أما الحديث الثاني: «إن الله كتب كتابًا...» فهو ضعيف بهذا السياق، أخرجه النسائي في «اليوم والليلة» (٩٦٧٠) عن حجاج بن منهال، والترمذي (٢٨٨٢) عن عبد الرحمن بن مهدي. قالا: حدثنا حماد بن سلمة، عن أشعث بن عبد الرحمن الجرميّ، عن أبي قلابة، عن أبي الأشعث الصنعاني، عن النعمان بن بشير مرفوعًا فذكره.

وأخرجه النسائي أيضًا (٩٦٧)، قال: أخبرنا أحمد بن سليمان، والدارمي (٣٢٣/٢)، وأحمد (٢٧٤/٤)، وأبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص١٢٤)، والحاكم (٥٦٢/١)، وعنه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٣٦٥/١) عن محمد بن إسحاق الصغاني. والحاكمُ أيضًا (٢٦٠/٢) عن الحسين بن الفضل. والسهميُّ في «تاريخ جرجان» (ص١٢٩) عن إبراهيم بن أبي خالد العطار، قال سبعتهم: ثنا عفان بن مسلم، ثنا حماد بن سلمة بهذا الإسناد.

وأخرجه ابنُ الضريس في «فضائل القرآن» (١٦٧) قال: حدثنا موسى بن إسماعيل وأحمد (٢٧٤/٤) قال: حدثنا روح بن عبادة. وابنُ حبان (٧٨٢) عن هدبة بن خالد، والبغويَ في «شرح السنة» (٢٦٦/٤- ٢٦٧) عن عبد الجبار بن العلاء قال أربعتُهم: حدثنا حماد بن سلمة بهذا الإسناد سواء.

ولم يذكر ابنُ الضريس في روايته: «ثلاث ليالٍ»، وهو عند ابن حبان بآخره. قال الترمذيَ: «حسن غريب» ولكن وقع في «أطراف المزي» أنه: «غريب» وكذلك استغربه البغوي. وهذا هو الأعلى. وأشعث بن عبد الرحمن.... وثقه ابن معين. وقال أحمد: «لا بأس به» فإنه لم يرو عنه إلا حماد بن سلمة وحده. فهنا محلُّ النظر. هل إذا تفرد واحدٌ بالرواية عن راوٍ ووثقه بعض النقاد، هل يقومُ هذا التوثيق مقام الراوي الثاني، فتنتفي جهالةُ عينه وحاله؟! فهذا عندي محتمل. فإذا تفرَّد مثل هذا الراوي عن شيخ له مثل أبي قلابة الجرمي، فأقلُّ أحواله أن يتوقف في حديثه وينظر فيه. وهذا معنى قول أبي حاتم الرازي في الراوي: «شيخ»، وقد قال هذا الحكم في أشعث عن معنى من يقول فيه أبوه: «شيخ»، فقال: «يكتب حديثه وينظر فيه». وقد وقع اختلافٌ في إسناده. فرواه هدبة بن خالد، عن حماد بن سلمة، ثنا أشعث بن عبد الرحمن عن أبي قلابة، عن أبي أسماء الرحبي، عن شداد بن أوس مرفوعًا فذكره. أخرجه الطبراني في «الكبير» (٧١٤٦) قال: حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، ثنا هدبة بن خالد بهذا. فزاد في الإسناد «أبا أسماء» وجعله من «مسند شداد بن أوس». ولعلَّ هذا من حماد بن سلمة أو من أشعث. لأن هدبة رواه عن حماد بن سلمة مثل رواية الجماعة عن حمادٍ. ووقع فيه مخالفةٌ أخرى، فقد رواه أيوب السختياني عن أبي قلابة، عن أبي صالح الحارثي، عن النعمان بن بشير مرفوعًا.

أخرجه النسائيُّ في «اليوم والليلة» (٩٦٦)، والطبرانيُّ في «الأوسط» (١٣٦٠) قال: حدثنا أحمد بن محمد بن صدقة، وأيضًا في «الصغير» (١٤٧) قال: حدثنا أحمد بن محمد بن الصبَّاح أبو عبد الله البصري قالوا: ثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري قال: نا ريحان بن سعيد، قال: نا عباد بن منصور، عن أيوب السختياني بهذا.

قال الطبراني: «لم يرو هذا الحديث عن أيوب، إلا عبادٌ، تفرد به: ريحان». وهذه مخالفةٌ واهيةٌ. وريحان وعباد ضعيفان. وأبو صالح الحارثي مجهول الحال. والصواب في هذا حديث حماد بن سلمة كما رجحه أبو زرعة الرازي على ما في «علل ابن أبي حاتم» (١٦٧٨). وقد مرَّ ما فيه.

ولم أر في صحيح الحديث أن من قرأ آخر آيتين من سورة البقرة في بيتٍ ثلاث ليالٍ لم يقربه شيطان. إنما المحفوظ قوله ﷺ: «البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة لا يدخله شيطان». وقد خرجتُهُ في «تفسير ابن كثير».

والحمدُ للَّه تعالى.

الفتاوى

تجيب عليها لجنة الفتوى بالمركز العام

زوج الجدة يحرم على زوجتك !!

جدة زوجتي تزوجت برجل.

س١: هل يعتبر هذا الرجل محرمًا لزوجتي أم لا؟ وهل يجوز له أن يصافحها، وأن يرى وجهها بدون النقاب وما حكم شقيق هذا الرجل في الحرمة بالنسبة لزوجتي؟

الجواب.. زوج الجدة يحرم على زوجتك إذا دخل بجدتها، لأن زوجتك تعتبر ربيبة له.

قال تعالى: ﴿وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم﴾.

والربيبة هي بنت الزوجة، وفي حكمها حفيدتها تحرم على زوج الأم المدخول بها.

والقاعدة الفقهية:

العقد على البنات يحرم الأمهات.

والدخول بالأمهات يحرم البنات.

أما أخو هذا الرجل فليس من المحارم.

يحرم على الحائض والنفساء الجماع

س٢ هل يجوز للمرأة الحائض والنفساء أن تقرأ القرآن وأن تجلس بالمسجد لسماع الدروس الدينية، وهل يجوز لها مس المصحف، نريد أن نعرف ما يحرم على المرأة بسبب الحيض والنفاس، وما يجوز لها.

الجواب.. دم الحيض من الدماء الطبيعية التي تصيب المرأة، وهو دم صحة، ينزل على كل امرأة بالغة، ونزول دم الحيض علامة على بلوغ المرأة سن التكليف، ولا ينبغي للمرأة أن تضيق بدم الحيض أو تحزن لأجل امتناعها بسببه عن بعض العبادات لأن هذا الأمر بتقدير الله عز وجل، ولكن على المرأة أن تعرف الأحكام الشرعية التي تتعلق بالحيض والنفاس وتعبد الله بمقتضى هذه الأحكام.

دخل النبي ﷺ على عائشة فوجدها تبكي، وكان ذلك في طريقهما للحج في حجة الوداع.

فقال لها النبي ﷺ: «ما يبكيك؟ لعلك نفست» فقالت: نعم، فقال: «إنَّ هذا شيء كتبه الله على بنات آدم، اصنعي كل ما يصنع الحاج، غير أن لا تطوفي بالبيت».

فدل هذا الحديث على أن للحيض أحكامًا تلتزمها المرأة في عبادتها، وأن هذا لا يشين المرأة، لا ينبغي أن تحزن لأجله، أما ما يحرم على المرأة بسبب الحيض والنفاس فهو:

(١) يحرم على الحائض أن تصلي في فترة الحيض والنفاس، فرضًا أو نفلا، ولا يجب عليها قضاء الصلاة بعد الطهر.

(٢) يحرم على الحائض أن تصوم فرضًا أو نفلا، ويجب عليها قضاء الصوم المفروض إذا طهرت.

(٣) يحرم على الحائض أن تطوف بالبيت الحرام سواء في حج أو عمرة، أو طواف تطوع لحديث عائشة المذكور.

(٤) يحرم على الحائض، والنفساء، الجماع، لقول الله عز وجل ﴿فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن فإذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين﴾.

ولقول النبي ﷺ: «اصنعوا كل شيء إلا النكاح» وكفارة جماع الحائض أن يتصدق الرجل بدينار ويقدر بحوالي ١٢٠ جنيها حاليًا تقريبًا لأن نصاب الزكاة في الذهب عشرون دينارًا، وتقدر بحوالي ٨٥ جراما من الذهب.

(٥) ويحرم طلاق المرأة في أثناء الحيض، لقول الله تعالى: ﴿إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن وأحصوا العدة﴾، وقول النبي ﷺ لعمر لما بلغه أن عبد الله بن عمر طلق امرأته وهي حائض: «مره فليراجعها حتى تطهر، ثم تحيض ثم تطهر، ثم إن شاء طلق، وإن شاء أمسك، فتلك العدة التي أمر الله أن تطلق لها النساء».

واختلف أهل العلم في قراءة الحائض القرآن، فإذا كانت القراءة نظرًا بالعين أو تأملا بالقلب دون نطق باللسان فلا بأس بها، وأما إذا كانت قراءتها نطقًا باللسان فجمهور العلماء على عدم الجواز، واستدلوا بأحاديث لا تخلو من ضعف كحديث ابن عمر «لا تقرأ الحائض ولا الجنب شيئا من القرآن» وحديث علي «كان رسول الله ﷺ لا يحجبه عن القرآن شيء، ليس الجنابة» وصححه الترمذي وابن حبان، وحسنه الحافظ في الفتح.

وذهب بعض أهل العلم إلى أنه لا بأس أن تقرأ الحائض القرآن لعدم نهوض الأدلة على المنع، وهذا قول البخاري.

قال شيخ الإسلام: ليس في منعها من القرآن سنة أصلا، فإن قوله «لا تقرأ الحائض ولا الجنب شيئًا من القرآن» حديث ضعيف وقد كان النساء يحضن في عهد النبي ﷺ، فلو كانت القراءة محرمة عليهن كالصلاة لكان هذا مما بينه النبي ﷺ لأمته وتعلمته أمهات المؤمنين، وكان ذلك مما ينقلونه في الناس، فلما لم ينقل عن النبي ﷺ نهيٌ، مع كثرة الحيض في زمنه علم أنه ليس بمحرم.

قال ابن عثيمين: والذي ينبغي بعد أن عرفنا نزاع أهل العلم أن يقال الأولى للحائض ألا تقرأ القرآن نطقا باللسان إلا عند الحاجة لذلك مثل أن تكون معلمة فتحتاج إلي تلقين المتعلمات، أو في حال الاختبار فتحتاج المتعلمة إلى القراءة لاختبارها أو نحو ذلك. أهـ.

هذا عن القراءة أما الذكر والتكبير والتسبيح والتسمية على الأكل وغيره، وقراءة الحديث والفقه، والدعاء والتأمين عليه واستماع القرآن فلا يحرم على الحائض شيء من ذلك.

وأما مكث الحائض في المسجد ومس المصحف ففيه خلاف أيضا، والجمهور على منع الحائض من المكث في المسجد وكلام أهل العلم في ذلك كثير يرجع إليه في مظانه من كتب الفقه، والأولى عدم المكث في المسجد وهو ما نفتي به والله أعلم.

فتاوى

أجاب عنها الشيخ صفوت نور الدين - رحمه الله - قبل سفره للعمرة والذى توفى فيه فى مكة المكرمة

ليس فى النقدين زكاة حتى يبلغ النصاب !!

س ١ : هل المرتب أو المكافأة البسيطة التي لا تتعدى ١٥٠ جنيها فيها زكاة؟

موسى علي عوض - الاسكندرية

- لحمد لله وحده والصلاة والسلام على خير خلقه وبعد، فالزكاة فريضة إسلامية وهي ثالث أركان الإسلام، وهي قرينة الصلاة في كتاب الله تعالى. لذا جاء بها الشرع واضحة مفصلة وعمل بها النبي صلى الله عليه وسلم في الناس وعمل بها الخلفاء من بعده. ولذا فالواجب العمل بها كما سن لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم. والسائل يسأل عن زكاة النقدين. وليس في النقدين زكاة حتى يبلغ النصاب ويحول عليها الحول والنصاب في الذهب ستة وثمانون جراما أو قيمته من العملات الأخرى فإذا كان صاحب المرتب يدخر من راتبه وبلغ المدخر منه قيمة النصاب وحال عليه الحول (اثنا عشر شهرا قمريا) وجبت فيه الزكاة وقيمتها ربع العشر أي ٢,٥٪ من قيمة المال على رأس الحول.

أما المرتبات عند قبضها فلا زكاة فيها والله أعلم.

الجمع ليس كفارة لترك الصلاة !!

س ٢ : كنت لا أصلي لعدة سنوات وكان ذلك بطريقة متقطعة.. فهل لو أديت الحج يكفر تركي للصلاة لفترة ولا تكون دينا عليّ. وإذا كان لا يجوز فهل هناك كفارة لهذا الذنب؟

م. ع. ع - بور سعيد

الصلاة ثاني أركان الإسلام، وهي شعار المسلمين؛ بها تحقن الدماء، وتحصن الأموال، فكانت جيوش المسلمين لا تغير على البلد حتى يأتي وقت التأذين، فإذا سمعوا الأذان كفوا عنهم، وإذا لم يسمعوا أغاروا عليهم. والصلاة صلة بين العبد وربه فمن قطع صلته بربه فلا خير فيه، والصلاة لها وقت معلوم ﴿ إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا ﴾ وفي قول الصديق رضي الله عنه «وإن لله عملا بالليل لا يقبله بالنهار وعملا بالنهار لا يقبله بالليل» فمن فاتته صلاة معلومة محددة وجب عليه صلاتها، لحديث النبي صلى الله عليه وسلم «من نام عن صلاة أو نسيها فليصلها إذا ذكرها».

أما ترك الصلاة لسنوات فلا يقبل قضاؤها ولكن على صاحبها التوبة بشروطها الشرعية (من الإقلاع عن الذنب والندم على ما فات والعزم على عدم العودة) وأن يكثر من النوافل لعل الله أن يوفي ميزانه.

أما الحج فهو من الركن الرابع من أركان الإسلام وهو من صالح العمل الذي يرجى به قبول الدعاء والتجاوز عن سيئات العبد.

وليس الحج كفارة لترك الصلاة حيث أنه ذنب عظيم أكبر من أن تقبل فيه كفارة وليس عليه إلا التوبة والتوبة شأنها عظيم، صاحبها يبقى عمره كله خائفا من ردها طامعا من الله في قبولها، والله أعلم.

الزكاة حق للفقير فكيف تعطيها ولدك ؟

س ٣ : أخرج ١٠٠٠ جنيه زكاة مالي سنويًا ولي ابن له أولاد ودخله لا يكفيه علما بأن لي أقارب حددت لهم مرتبا شهريا من هذه الزكاة فهل يجوز لي أن أعطي ابني المحتاج جزءًا من هذه الزكاة؟

محمود عبد الرحمن - القاهرة

- الزكاة حق للفقير والمسكين، وسائر الأصناف الثمانية الذين ذكرهم رب العزة في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي

سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ...﴾ وحق الفقير لا يجوز الجور عليه والاستفادة منه لغير الفقير ولا يجوز حبسه عن مصارفه.

وتعامل الكثير ممن وجبت عليهم الزكاة يسبب خللا شديدا في الأمة؛ حيث يعمد الكثير من المزكين إلى حبس زكاة ماله ليخرجها في رمضان، فيتخمون الفقير ويعلمونه الإسراف لكثرة ما جاءه من المال وهو صائم، ثم إذا أنفق المال وعاد للغني يسأله منعه عنه حتى يلح في المسألة، فعلمه الإسراف ثم علمه الإلحاف ثم تعلم الفقير الادخار من زكاة المال، وكل هذه مفاسد عظيمة لكن الشرع جعل الزكاة على رأس الحول ويبدأ الحول ببلوغ المال النصاب، ولكل فردٍ حوله الذي يخرج فيه، فيجد الفقير المال يفيض عليه على مدار العام، فلا يحتاج لأحد يحتفظ بزكاة ماله عنده ليخرجه مرتبات للفقراء.

هذا ولا يصح إخراج زكاة المال لأصول المزكي (والداه أو أجداده) ولا لفروعه (أبناؤه أو أحفاده)، لأن لهم شبه ملكية لذلك المال. والذي يقتر على ولده في النفقة رغم أن معه مالا يجعل ولده يكرهه ويتمنى موته. والزكاة حق الفقير فكيف تعطيها ولدك رغم وجود بقية المال معك الذي هو ٩٧,٥٪ وتطمع في حق الفقير الذي هو ٢,٥٪.

القضايا يحكم فيها القاضى بشرع الله !!

س ٤ : زوجة طلبت الطلاق من المحكمة أثناء نظر قضية الطاعة واتضح للمحكمة أنها هي التي أساءت إلى الحياة الزوجية... فهل تستحق هذه الزوجة مؤخر الصداق والمتعة؟.. وهل من حقها أن تكون حاضنة أم لا؟

سمير سعد - بركة غطاس البحيرة

- القضايا ينبغي أن يحكم فيها القاضي بشرع الله بعد معرفة حجة الأطراف المتنازعة ولا تتحول القضايا إلى فتاوى.

أما مؤخر الصداق فهو دين في عنق الزوج كسائر الديون يستحق بأحد الأجلين الموت أو الطلاق. حيث أن هذا الحق واجب قبل الزواج فإذا اتفقا على تأخير جزء منه فإن ذلك لا يسقط الحق في المطالبة به.

والكثير من المتخاصمين يسيء إلى الحياة الزوجية في الخصومات، وربنا يدعونا بقوله ﴿وَلاَ تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ [البقرة:١٣٧] وقال تعالى: ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا فَلاَ تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا (٢٠) وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ [النساء:٢٠-٢١].

والحضانة حق للأم لحديث الإمام أحمد وأبي داود عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: أتت امرأة النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله إن ابني هذا كان بطني له وعاء وحجري له حواء وثديي له سقاء، وزعم أبوه أنه ينزعه مني! قال: أنت أحق به ما لم تنكحي».

نصيبهم نسبة الربح المتفق عليها !!

س ٥ : أحصّل مالا من الناس على أن أتاجر لهم فيه ولما كثر المال لم أستطع حساب كل فرد على حدة من حيث نصيبه المفروض له، وبشكل تقديري قررت منح كل صاحب مال مبلغًا معينا شهريا متفقا عليه فيما بيننا وقد رضي الجميع به فهل هذا يعتبر حراما أم حلالا؟

س. م. ا - القاهرة

- هذه شركة مضاربة قسم من الشركاء برأس المال وقسم آخر بالعمل والجهد. والمكسب بينهما على النسبة المتفق عليها، والخسارة على رأس المال. ولا يجوز تحديد مبلغ معين يتقاضاه الشركاء أصحاب رأس المال بل يجب أن يكون نصيبهم نسبة الربح المتفق عليها والله أعلم.

عليك ببذل الجهد فى الصلح بينهما !!

س ٦ : حدثت مشادة وخصام بين والدتي وشقيقها قام على أثره بطردها من منزله أثناء زيارتها له وطلبت مني والدتي أن أقطع علاقتي نهائيا به وألا أكلمه ولا أتصل به

حتى لو قابلني في الطريق. فماذا أفعل هل أطيع والدتي وأقطع صلة الرحم مع خالي ما دامت هذه رغبة والدتي؟

إبراهيم. م - القاهرة

ـ عليك بذل الجهد في الصلح بينهما، ونقل الخير من كل جانب للآخر، وإرسال رسل الخير حتى ولو بكلام طيب لم يحدث، لحديث البخاري ومسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس ويقول خيرا وينمي خيرا» (رواه مسلم) قال ابن شهاب: ولم أسمع يرخص في شيء مما يقول الناس كذب إلا في ثلاث. الحرب والإصلاح بين الناس وحديث الرجل امرأته وحديث المرأة زوجها. فصلة الأرحام من آكد العلاقات والقربات الشرعية والله أعلم.

إذا أرضعت البنت بلبن غير لبن أبيك فجائز !!

س ٧ : رضعت ابنة عمي من زوجة أبي.. فهل يجوز لي الزواج منها علما بأنه لم يسبق لي أن رضعت من أمها؟

زكريا حسن عبد الموجود - بور سعيد

ـ إذا كانت زوجة أبيك أرضعت ابنة عمك وهي تحت أبيك وبلبنه فهي أختك من الرضاع لأبيك ولا يجوز الزواج بها. وإن كانت أرضعت هذه البنت بلبن غير لبن أبيك أي (لولد ليس أخاك لأبيك) فالزواج جائز والله أعلم.

لا يجوز جعلها قاعدة فى الطعام والشراب !!

س ٨ : من المقرر شرعا أن للذكر مثل حظ الأنثيين فهل هذا قاصر في تطبيقه على متاع الدنيا فقط أو ينطبق على حق الانتفاع بالمقابر حيث زعم البعض أن الانتفاع بها قاصر على أحفاد الجد لأب دون أحفاد الجد لأم؟

عادل حسني - بنها

ـ هذا الذي ذكرت أنه مقرر شرعا ليس أمرا مضطردا بل قد يكون الذكر كالأنثى مثل ميراث الأبوين من الابن الذي له أبناء ذكور ومثل ميراث الإخوة لأم فهم شركاء في الثلث بغير تمييز بين ذكر وأنثى وهناك حالات مشابهة. أما (للذكر مثل حظ الأنثيين) فهي في الميراث في حالة الأبناء والإخوة مع الأخوات ونظائر ذلك.

ولا يجوز جعلها قاعدة في الطعام والشراب والمقابر التي يدفن فيها وغير ذلك والله أعلم.

تحية المسجد الحرام ركعتين كسائر المساجد !!

س ٩ : أنوي أداء العمرة الشهر القادم وعرفت أن تحية الكعبة الطواف.. فهل الطواف مرة أم يكون سبع مرات؟

م. ع - القاهرة

ـ المسجد الحرام يتميز عن سائر المساجد بالطواف بالكعبة سبعا. ولا يقال إن تحية المسجد الحرام الطواف فهذا قول مشهور على الألسنة وليس ذلك بصحيح على إطلاقه إنما تحية المسجد الحرام صلاة ركعتين كسائر المساجد والله أعلم.

إن كان الأمر كذلك جاز للضرورة !!

س ١٠ : شاهدت بعض المصلين دخل المسجد والجماعة يقام لها فإذا به يقف بعيدا عن الصفوف في مؤخرة المسجد وانضم إليه اثنان آخران فأشرت لهم بأن هذا غير جائز ولكنهم أصروا على موقفهم.. فما حكم هذا التصرف وهل هذا جائز؟

محمود عبد القادر

ـ لعل ما ذكرته هو ما يتبعه بعض خدم المساجد والقائمين على حراستها لما كثر في الناس ممن يسرقون أمتعة المصلين، فإن كان الأمر كذلك جاز للضرورة؛ لأن الضرورات الشرعية خمس منها حفظ المال. والمصلي يأمن في بيت الله. ويعكر صفو أمنه هؤلاء السراق، لذا ينبغي الأخذ على أيديهم وتشديد العقوبة عليهم فليسوا فقط سراقا إنما هم يروعون الآمنين في خير بقاع الأرض والله أعلم.

فتاوى

أجاب عليها
سماحة الشيخ: ابن عثيمين رحمه الله

سُئل: ما حكم التعلق بالأسباب؟

☐ أجاب: التعلق بالأسباب أقسام:

القسم الأول: ما ينافي التوحيد في أصله، وهو أن يتعلق الإنسان بشيء لا يمكن أن يكون له تأثير ويعتمد عليه اعتمادًا كاملاً معرضًا عن الله، مثل تعلق عباد القبور بمن فيها عند حلول المصائب، وهذا شرك أكبر مخرج عن الملة، وحكم الفاعل ما ذكره الله تعالى بقوله: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

القسم الثاني: أن يعتمد على سبب شرعي صحيح مع غفلته عن المُسبِّب وهو الله تعالى، فهذا نوع من الشرك، ولكن لا يخرج من الملة؛ لأنه اعتمد على السبب ونسي المسبِّب وهو الله تعالى.

القسم الثالث: أن يتعلق بالسبب تعلقًا مجردًا لكونه سببًا فقط، مع اعتماده الأصلي على الله، فيعتقد أن هذا السبب من الله، وأن الله لو شاء قطعه، ولو شاء لأبقاه، وأنه لا أثر للسبب في مشيئة الله عز وجل، فهذا لا ينافي التوحيد لا أصلاً ولا كمالاً.

ومع وجود الأسباب الشرعية الصحيحة ينبغي للإنسان أن لا يعلق نفسه بالسبب بل يعلقها بالله، فالموظف الذي يتعلق قلبه بمرتبه تعلقًا كاملاً مع الغفلة عن المسبِّب وهو الله فهذا نوع من الشرك، أما إذا اعتقد أن المرتب سبب والمسبِّب هو الله سبحانه وتعالى، فهذا لا ينافي التوكل، والرسول ﷺ كان يأخذ بالأسباب مع اعتماده على المسبِّب وهو الله عز وجل.

سُئل: هل تجوز كتابة بعض آيات القرآن الكريم «مثل آية الكرسي» على أواني الطعام والشراب لغرض التداوي بها؟

☐ أجاب : يجب أن نعلم أن كتاب الله أعز وأجل من أن يمتهن إلى هذا الحد ويبتذل إلى هذا الحد، كيف تطيب نفس مؤمن أن يجعل كتاب الله عز وجل وأعظم آية في كتاب الله وهي آية الكرسي أن يجعلها في إناء يشرب فيه، ويمتهن ويرمى في البيت ويلعب به الصبيان؟! هذا العمل لا شك أنه حرام، وأنه يجب على من عنده شيء من هذه الأواني أن يطمس هذه الآيات التي فيها، بأن يذهب بها إلى الصانع فيطمسها، فإن لم يتمكن من ذلك فالواجب عليه أن يحفر لها في مكان طاهر ويدفنها، وأما أن يبقيها مبتذلة ممتهنة يشرب بها الصبيان ويلعبون بها فإن الاستشفاء بالقرآن على هذا الوجه لم يرد عن السلف الصالح، رضي الله عنهم.

سُئل: ما الأمور التي يجب تعليقها بالمشيئة والأمور التي لا ينبغي تعليقها بالمشيئة؟

☐ أجاب : كل شيء مستقبل فإن الأفضل أن تعلقه بالمشيئة؛ لقول الله تعالى: ﴿وَلاَ تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا (٢٣) إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الكهف: ٢٣، ٢٤]، أما الشيء الماضي فلا يعلق بالمشيئة إلا إذا قصد بذلك التعليل.

فمثلاً لو قال لك شخص دخل شهر رمضان هذا العام ليلة الأحد إن شاء الله، فلا يحتاج أن نقول: إن شاء الله؛ لأنه مضى وعلم، ولو قال لك قائل: لبست ثوبي إن شاء الله، وهو لابسه فلا يحسن أن يعلق بالمشيئة لأنه شيء مضى وانتهى، وإلا قصد التعليل أي قصد أن اللبس كان بمشيئة الله. فهذا لا بأس به.

فلو قال قائل حين صلى: صليت إن شاء الله، إن قصد فعل الصلاة فإن الاستثناء هنا لا ينبغي؛ لأنه صلى، وإن قصد إن شاء الله الصلاة المقبولة فهنا يصح أن يقول إن شاء الله، لأنه لا يعلم أقبلت أم لم تقبل.

سئل: ما صفة الوضوء الشرعي؟

□ أجاب : صفة الوضوء الشرعي على وجهين:

صفة واجبة لا يصح الوضوء إلا بها، وهي المذكورة في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ [المائدة: ٦]، وهي غسل الوجه مرة واحدة ومنه المضمضة والاستنشاق، وغسل اليدين إلى المرافق من أطراف الأصابع إلى المرافق مرة واحدة، ويجب أن يلاحظ المتوضئ كفيه عند غسل ذراعيه فيغسلهما مع الذراعين، فإن بعض الناس يغفل عن ذلك ولا يغسل إلا ذراعيه وهو خطأ، ثم يمسح الرأس مرة واحدة ومنه- أي من الرأس- الأذنان، وغسل الرجلين إلى الكعبين مرة واحدة هذه هي الصفة الواجبة التي لابد منها.

أما الوجه الثاني من صفة الوضوء، فهي الصفة المستحبة ونسوقها الآن بمعونة الله وهي: أن يُسمي الإنسان عند وضوئه، ويغسل كفيه ثلاث مرات، ثم يتمضمض ويستنشق ثلاث مرات بثلاث غرفات، ثم يغسل وجهه ثلاثًا، ثم يغسل يديه إلى المرفقين ثلاثًا ثلاثًا، يبدأ باليمنى ثم اليسرى، ثم يمسح رأسه مرة واحدة، يبل يديه ثم يمرهما من مقدم رأسه إلى مؤخره ثم يعود إلى مقدمه، ثم يمسح أذنيه فيدخل سباحتيه في صماخيهما، ويمسح بإبهاميه ظاهرهما، ثم يغسل رجليه إلى الكعبين ثلاثًا ثلاثًا، يبدأ باليمنى، ثم باليسرى، ثم يقول بعد ذلك: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين، فإنه إذا فعل ذلك، فُتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء، هكذا صح الحديث عن النبي ﷺ. قاله عمر رضي الله عنه.

سئل: ما حكم خلع الجوربين عند كل وضوء احتياطًا للطهارة؟

□ **أجاب**: هذا على خلاف السنة، وفيه تشبه بالروافض الذين لا يجيزون المسح على الخفين، والنبي ﷺ قال للمغيرة حينما أراد نزع خفيه قال: «دعهما فإني أدخلتهما طاهرتين. أخرجه البخاري (٢٠٦)، ومسلم (٢٧٤) (٧٩).

سئل: إذا مسح الإنسان وهو مقيم ثم سافر فهل يتم مسح مسافر؟

□ **أجاب**: إذا مسح وهو مقيم ثم سافر فإنه يتم مسح مسافر على القول الراجح، وقد ذكر بعض أهل العلم أنه إذا مسح في الحضر ثم سافر، أتم مسح مقيم، ولكن الراجح ما قلناه، لأن هذا الرجل قد بقي في مدة مسحه شيء قبل أن يسافر وسافر، فيصدق عليه أنه من المسافرين الذين يمسحون ثلاثة أيام، وقد ذكر عن الإمام أحمد رحمه الله أنه رجع إلى هذا القول بعد أن كان يقول بأنه يتم مسح مقيم.

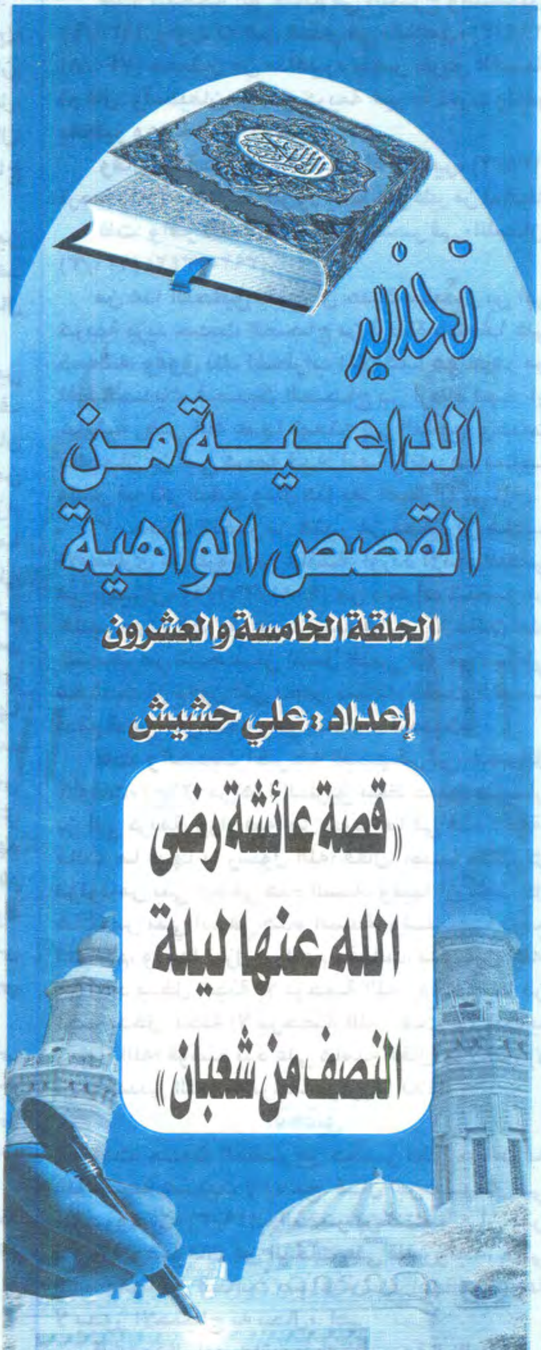

تحذير الداعية من القصص الواهية

الحلقة الخامسة والعشرون

إعداد: علي حشيش

«قصة عائشة رضي الله عنها ليلة النصف من شعبان»

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم؛ حتى يقف على حقيقة هذه القصة التي اشتهرت على ألسنة الخطباء والوعاظ والقصاص بمناسبة ليلة النصف من شعبان.

تحليل طرق القصة

-الطريق الأول: عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها:

وهذا الطريق يتفرع منه ثلاثة طرق:

١- حديث الحجاج بن أطاة عن يحيى بن أبي كثير، عن عروة، عن عائشة قالت: فقدت رسول الله ﷺ ليلةً فخرجت، فإذا هو بالبقيع، فقال: «أكنت تخافين أن يحيف الله عليك ورسوله؟» قلت: يا رسول الله، إني ظننت أنك أتيت بعض نسائك. فقال: «إن الله عز وجل ينزل ليلة النصف من شعبان إلى السماء الدنيا، فيغفر لأكثر من عدد شعر غنم كلب». اهـ.

التخريج

أخرج هذا الحديث الذي جاءت به هذه القصة: أحمد (٢٣٨/٦) (ح٢٦٠٦٠)، وابن أبي شيبة (١٠٨/٦)، والترمذي (١١٦/٣- شاكر) (ح٧٣٩)، وابن ماجه (ح١٣٨٩)، والبيهقي في «الشعب» (٣٨٠/٣) (ح٣٨٢٦) من طريق الحجاج بن أرطاة به.

التحقيق

الحديث «ليس صحيحًا»، قال الترمذي في «السنن» (١١٧/٣): «حديث عائشة لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث الحجاج، وسمعت محمدًا(١) يضعف هذا الحديث. وقال: يحيى بن أبي كثير لم يسمع من عروة، والحجاج بن أرطاة لم يسمع من يحيى بن أبي كثير».

قلت: وأخرج ابن الجوزي هذه القصة في «العلل المتناهية» (٥٥٦/٢) (ح٩١٥)، ونقل قول الإمام الترمذي ثم نقل عن الإمام الدارقطني أنه قال: «قد روى من وجوه وإسناده مضطرب غير ثابت».

قلت: ولا يغتر أحد بأن الحجاج بن أرطاة روى له مسلم ويقول هو من رجال مسلم وغاب عنه أنه قد يكون في السند رجل من رجال مسلم، ولكن لم يحتج به وإنما أخرج له استشهادًا أو مقرونًا بغيره لضعفه.

والحجاج أورده الإمام الذهبي في «الميزان» (٤٥٨/١) وقال: «خرج له مسلم مقرونًا بآخر». اهـ.

قلت: بهذا يتبين أن الإمام مسلم لم يحتج به لضعفه.

وأورده الإمام ابن حبان في «المجروحين» (١/٢٢٥) وقال: تركه ابن المبارك ويحيى القطان، وابن المهدي، ويحيى بن معين، وأحمد بن حنبل، وسُئل يحيى بن معين عن الحجاج بن أرطاة فقال: ضعيف، ضعيف. وقال أبو حاتم: كان الحجاج مدلسًا عمن رآه وعمن لم يره. اهـ.

قلت: وفي «التهذيب» (٢/١٧٤) قال يعقوب بن شيبة: الحجاج واهي الحديث في حديثه اضطراب. اهـ.

فالحديث به ثلاث علل: طعن في الراوي، وإرسال خفي في موضعين.

٢- حديث سليمان بن أبي كريمة: عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة قالت: كانت ليلة النصف من شعبان ليلتي وبات رسول الله ﷺ عندي، فلما كان في جوف الليل فقدته، فأخذني ما يأخذ النساء من الغيرة، فتلفعت بمرطي، أما والله ما كان خزًا، ولا قزًا، ولا حريرًا، ولا ديباجًا، ولا قطنًا، ولا كتانًا، قيل: وما كان قالت: كان سداه شعرًا، ولحمته من أوبار الإبل، وطلبته في حجر نسائه فلم أجده، فانصرفت إلى حجرتي، فإذا به كالثوب الساقط على وجه الأرض ساجدًا، وهو يقول في سجوده: «سجد لله سوداي وخيالي، وأمن لك فؤادي، هذه يدي وما جنيته بها على نفسي، يا عظيم يرجى لكل عظيم، اغْفِرِ الذنب العظيم، أقول كما قال داود عليه السلام: أُعَفِّر وجهي في التراب لسيدي وحق له أن يسجد وجهي للذي خلقه وشق سمعه وبصره، ثم رفع رأسه، فقال: اللهم ارزقني قلبًا نقيًا من الشرك لا كافرًا ولا شقيًا». ثم سجد وقال: أعوذ برضاك من سخطك، وأعوذ بعفوك من معاقبتك، لا أحصي ثناءً عليك، أنت كما أثنيت على نفسك، قالت: ثم انصرف ودخل معي في الخميلة وبي نفس عال، فقال: ما هذا النفس يا حميراء؟

قالت: فأخبرته، فطفق يمسح بيده على ركبتي ويقول: ويس هاتين الركبتين ما لقيتا في هذه الليلة، ليلة النصف من شعبان ينزل الله عز وجل إلى السماء الدنيا فيغفر لعباده إلا لمشرك أو مشاحن. اهـ.

التخريج

هذا الحديث الذي جاءت به القصة بهذا اللفظ أخرجه ابن الجوزي في «العلل المتناهية» (٢/٥٧٧) (ح٩١٧)، والدارقطني في «النزول» (ح٩٢).

التحقيق

قال ابن الجوزي: هذا حديث لا يصح، قال ابن عدي: أحاديث سليمان بن أبي كريمة مناكير.

قلت: ضعفه أبو حاتم في «الجرح والتعديل» (٤/١٣٨). وأورد له ابن عدي في «الكامل» (٣/٢٦٢) (٨/٧٤٠) حديثين من مناكيره بنفس طريق القصة، ثم قال: ولسليمان بن أبي كريمة غير ما ذكرت وليس بالكثير وعامة أحاديثه مناكير. اهـ.

وقال العقيلي في «الضعفاء الكبير» (٢/١٣٨) ترجمة (٦٢٧): يحدث بمناكير ولا يتابع على كثير من أحاديثه.

قلت: وأقر ذلك الحافظ ابن حجر في «اللسان» (٣/١٢١) (٣٤٢/٣٩٢٥).

من هذا التحقيق يتبين أن حديث سليمان بن أبي كريمة يزيد حديث الحجاج بن أرطاة ضعفًا على ضعفه، وفوق ذلك اضطراب المتن كما هو ظاهر من لفظ الحديث، فحديث الحجاج بن أرطاة فيه: أن عائشة رضي الله عنها تبعته إلى البقيع، وحديث سليمان بن أبي كريمة فيه: أنها رأته وهو ساجد وليس فيه ذكر البقيع، ومثل هذا يعد اضطرابًا في المتن.

٣- حديث النضر بن كثير عن يحيى بن سعيد الأنصاري عن عروة عن عائشة: أورده الإمام الذهبي في «الميزان» (٤/٢٦٢/٩٠٨١) من منكرات النضر بن كثير بهذا الطريق عن عائشة قالت: لما كانت ليلة النصف من شعبان انسلَّ النبي ﷺ من مِرْطِي فخشيت أن يكون أتى بعض نسائه، فقمت ألتمسه فيقع قدمي على قدمه وهو ساجد... الحديث.

قلت: والحديث أخرجه البيهقي في «فضائل الأوقات» (ح٢٦) من هذا الطريق بلفظ حديث سليمان بن أبي كريمة، وزاد فيه: هل تدرين ما في هذه الليلة؟ قالت: ما فيها يا رسول الله؟ فقال: «فيها يكتب كل مولود من بني آدم في هذه السنة، وفيها أن يكتب كل هالك من بني آدم في هذه السنة، وفيها ترفع أعمالهم، وفيها تنزل أرزاقهم». فقالت: يا رسول الله، ما أحد يدخل الجنة إلا برحمة الله؟ فقال: «ما من أحد يدخل الجنة إلا برحمة الله». قلت: ولا أنت يا رسول الله؟ فوضع يده على هامته، فقال: «ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله منه برحمة» يكررها ثلاثًا.

التحقيق

قلت: حديث النضر بن كثير الذي جاءت به القصة حديث لا يصح. قال ابن حبان في «المجروحين» (٣/٤٩): «النضر بن كثير كان ممن يروي الموضوعات عن الثقات على قلة روايته، حتى إذا سمعها مَن الحديثُ صِنَاعَتُه شهد أنها موضوعة لا يجوز الاحتجَاج به بحال». اهـ.

قلت: وقال أبو حاتم: «فيه نظر»، وقال البخاري: «عنده مناكير»، كذا في «الميزان» (٤/٢٦٢)، وبهذا

يتبين أن حديث النضر بن كثير يزيد القصة وهنًا على وهن ولا يصلح للمتابعات.

الطريق الثاني: أنس بن مالك عن عائشة رضي الله عنها:

من حديث سعيد بن عبد الكريم عن أبي النعمان السعدي، عن أبي رجاء العطاردي عن أنس رضي الله عنه عن عائشة رضي الله عنها: أخرجه ابن الجوزي في «العلل المتناهية» (٢/٥٥٨) (ح٩١٨) عن أنس بن مالك قال: بعثني النبي ﷺ إلى عائشة، فقلت لها: أسرعي، فإني تركت رسول الله ﷺ يحدث بحديث ليلة النصف من شعبان، فقالت: يا أنيس، اجلس حتى أحدثك عن ليلة النصف من شعبان، كانت ليلتي، فجاء النبي ﷺ حتى دخل معي في اللحاف، قالت: فانتهيت من الليل فلم أجده، فطفت في حجرات نسائه فلم أجده، قالت: قلت: ذهب إلى جاريته مارية القبطية، قالت: فخرجت فمررت في المسجد فوقعت رجلي عليه وهو ساجد وهو يقول: سجد لك خيالي وسوادي وآمن بك فؤادي... الحديث.

التحقيق

قال ابن الجوزي: «وهذا الطريق لا يصح، قال أبو الفتح الأزدي: سعيد بن عبد الكريم متروك».

وأقره الإمام الذهبي في «الميزان» (٢/١٤٩/٣٢٣٢)، وأورد هذا الحديث الذي جاءت به القصة من مناكيره.

قلت: بهذا يتبين أن هذا الطريق يزيد القصة أيضًا وهنًا على وهن.

وفي هذا الحديث الواهي جاءت زيادة في هذه القصة الواهية، وفي هذه الزيادة يزعمون أن عائشة رضي الله عنها قالت: يا رسول الله، وما بال شعر غنم كلب؟ قال: «لم يكن في العرب قبيلة قوم أكثر غنمًا منهم، لا أقول فيهم ستة نفر: مدمن خمر، وعاق لوالديه، ولا مصر على الزنى، ولا مصادم، ولا مصور ولا قتات». اهـ.

الطريق الثالث

حديث العلاء بن الحارث: أخرج البيهقي في «الشعب» (٣/٣٨٢) (ح٣٨٣٥) قال: أخبرنا أبو نصر بن قتادة، أنا أبو منصور محمد بن أحمد الهروي، نا الحسين بن إدريس، نا أبو عبيد الله ابن أخي ابن وهب، نا عمي نا معاوية بن صالح عن العلاء بن الحارث أن عائشة قالت: قام رسول الله ﷺ من الليل يصلي فأطال السجود حتى ظننت أنه قد قبض، فلما رأيت ذلك قمت حتى حركت إبهامه فتحرك، فرجعت، فلما رفع رأسه من السجود وفرغ من صلاته قال: «يا عائشة، أو يا حميراء، أظننت أن النبي ﷺ قد حاف بك». قلت: لا والله يا رسول الله، ولكني ظننت أنك قبضت لطول سجودك. فقال: «أتدرين أي ليلة هذه؟» قلت: الله ورسوله أعلم قال: «هذه ليلة النصف من شعبان، إن الله عز وجل يطلع على عباده في ليلة النصف من شعبان فيغفر للمستغفرين، ويرحم المسترحمين، ويؤخر أهل الحقد كما هم».

التحقيق

القصة من هذا الطريق واهية أيضًا، وإلى القارئ الكريم التحقيق:

١- العلاء بن الحارث بن عبد الوارث: أورده الحافظ في «التقريب» (٢/٩١): «قد اختلط من الخامسة، مات سنة ست وثلاثين وهو ابن سبعين سنة». وكذا في «التهذيب» (٨/١٥٨) ناقلاً عن ابن سعد وغير واحد أنه مات سنة ست وثلاثين ومائة، زاد بعضهم: وهو ابن سبعين سنة.

قلت: قد يتوهم من لا دراية له بهذا الفن أن «التقريب» اختلف عن «التهذيب» في تحديد سنة الوفاة للعلاء، ولكن هيهات، فالتقريب يذكر سنة الوفاة مع الطبقة، ووضع قاعدة، قال فيها الحافظ ابن حجر في «مقدمة التقريب»: «وذكرت وفاة من عرفت سنة وفاته منهم، فإن كان من الأولى والثانية فهم قبل المائة، وإن كان من الثالثة إلى آخر الثامنة فهم بعد المائة، وإن كان من التاسعة إلى آخر الطبقات فهم بعد المائتين، ومن ندر عن ذلك بنيته».

قلت: فقول الحافظ ابن حجر: «من الخامسة، مات سنة ست وثلاثين»، يعني: بعد المائة. وبما أنه مات وهو ابن سبعين سنة، إذن فسنة ميلاده هي سنة ست وستين.

٢- عائشة بنت أبي بكر الصديق، أم المؤمنين:

قال الحافظ ابن حجر في «التقريب» (٢/٦٠٦): «أفقه النساء مطلقًا، ماتت سنة سبع وخمسين على الصحيح». اهـ.

قلت: بمقارنة التاريخ للعلاء بن الحارث الذي روى عن أم المؤمنين عائشة: يتبين أن العلاء بن الحارث ولد بعد وفاة أم المؤمنين عائشة بعدة سنوات، فكيف يروي عنها؟!

ولذلك قال النووي في «التقريب» النوع (٦٠) «التواريخ والوفيات: هو فن مهم، به يعرف اتصال الحديث وانقطاعه، وقد ادعى قوم الرواية عن قوم، فنظر في التاريخ فظهر أنهم زعموا الرواية عنهم بعد وفاتهم بسنين».

ولذلك نقل السيوطي في «التدريب» (٢/٣٥٠) قول سفيان الثوري: «لما استعمل الرواة الكذب استعملنا لهم التاريخ».

قلت: والعلاء اختلط وتغير عقله كما في «التهذيب» (١٥٨/٨)، و«الميزان» (٩٨/٣).

٣- وفي السند أيضًا: «عن العلاء بن الحارث أن عائشة قالت:...».

قلت: فالحديث من نوع «المؤنن»، والمؤنن اصطلاحًا: هو قول الراوي: حدثنا فلان أن فلانًا قال: ومن شروط قبول المؤنن: اللقاء، وبهذا يتبين أن الحديث الذي جاءت به القصة مردود منقطع.

٤- وفي السند أيضًا: أبو عبيد الله بن أخي ابن وهب عن عمه:

قال ابن حبان في «المجروحين» (١٤٩/١): «أحمد بن عبد الرحمن بن وهب: أبو عبيد الله بن أخي ابن وهب من أهل مصر، يروي عن عمه حدثنا عنه شيوخنا ابن خزّيمة وغيره، وكان يحدث بالأشياء المستقيمة قديمًا حيث كتب عنه ابن خزيمة وذووه، ثم جعل يأتي عن عمه بما لا أصل له، كأن الأرض أخرجت له أفلاذ كبدها».

قلت: وبهذا يتبين أن هذا الطريق يزيد القصة أيضًا وهنًا على وهن.

الطريق الرابع

حديث سعد بن مالك أبو سعد الخدري رضي الله عنه عن عائشة رضي الله عنها:

أخرجه البيهقي في «الشعب» (٣٨٣/٣) (ح٣٨٣٧) قال: «أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ومحمد بن موسى قالا: نا أبو العباس محمد بن يعقوب نا محمد بن عيسى بن حبان المدائني نا سلام بن سليمان أنا سلام الطويل عن وهيب المكي عن أبي رهم أن أبا سعيد الخدري دخل على عائشة، فقالت له عائشة: يا أبا سعيد، حدثني بشيء سمعته من رسول الله ﷺ وأحدثك بما رأيته يصنع، قال أبو سعيد: كان رسول الله ﷺ إذا خرج إلى صلاة الصبح قال: «اللهم املأ سمعي نورًا وبصري نورًا ومن بين يدي نورًا، ومن خلفي نورًا، وعن يميني نورًا، وعن شمالي نورًا، ومن فوقي نورًا، ومن تحتي نورًا، وعظم لي النور برحمتك». وفي رواية محمد: «وأعظم لي نورًا». قالت عائشة: دخل عليّ رسول الله ﷺ فوضع عنه ثوبيه ثم لم يستتم أن قام فلبسهما فأخذتني غيرة شديدة فظننت أنه يأتي بعض صويحباتي فخرجت اتبعه...» الحديث.

التحقيق

هذه القصة بهذا الطريق واهية أيضًا، وعلتها: سلام الطويل.

قال الذهبي في «الميزان» (٣٣٤٣/١٧٥/٢): «سلام بن سلم (ق) ويقال ابن سليم التميمي السعدي الخراساني ثم المدائني الطويل. روى عن: زيد العمي، ومنصور بن زاذان، وحميد، والبصريين، قال البخاري: سلام بن سلم السعدي الطويل عن يزيد العمي: تركوه.

وقال أحمد بن مريم: سألت ابن معين عن سلام بن سلم التميمي فقال: ضعيف، لا يكتب حديثه. وروى ابن الدورقي عن يحيى: سلام الطويل ليس بشيء. وروى عباس عن يحيى: سلام بن سلم التميمي ليس بشيء. وقال أحمد: سلام بن سلم الطويل منكر الحديث. وقال النسائي: سلام بن سلم متروك) .(اهـ.

قال البخاري في «الضعفاء الصغير» (١٥٢): «سلام الطويل: تركوه».

وقال النسائي في «الضعفاء والمتروكين» (٢٣٧): «متروك الحديث».

قلت: قال الحافظ ابن حجر في «شرح النخبة» (ص٦٩): «مذهب النسائي أن لا يترك حديث الرجل حتى يجتمع الجميع على تركه».

قلت: وقال ابن حبان في «المجروحين» (١٣٥/١): «سلام الطويل يروي عن الثقات الموضوعات كأنه كان المعتمد لها».

قلت: وعلة أخرى: سلام بن سليمان بن سوّار المدائني.

أورده المزي في «تهذيب الكمال» (٢٦٣٩/٢٢٦/٨)، وبيّن أنه روي عن: سلام الطويل، وروى عنه: عيسى بن حبان المدائني.

ونقل الذهبي في «الميزان» (٣٣٤٦/١٧٨/٢) قول ابن عدي: منكر الحديث، وقول العقيلي: في حديثه مناكير.

قلت: كذلك قال العقيلي في «الضعفاء الكبير» (٦٦٨/١٦١/٢).

قلت: وبهذا يتبين أن هذا الطريق يزيد القصة وهنًا على وهن.

الطريق الخامس

حديث عبد الله بن أبي مليكة عن عائشة:

أخرجه ابن الجوزي في «العلل المتناهية» (٥٥٩/٢) (ح٩١٩) قال: أنبأنا الحريري قال: أنبأ العشارى قال: نا الدارقطني، قال: نا عبدالله بن سليمان، قال: نا إسحاق بن إبراهيم، قال: نا سعيد بن الصلت عن عطاء بن عجلان عن عبد الله بن أبي مليكة عن عائشة قالت: «استيقظت ليلة، فإذا رسول الله ﷺ ليس في البيت، فأخذني ما تقدم وما تأخر، فخرجت أطلب رسول الله ﷺ، فظننت أنما خرج إلى بعض ما ظننت، فبينما أنا كذلك إذا برسول الله ﷺ قد أقبل، فكرهت أن يراني، فرجعت إلى البيت وأنا أسعى، فانتهى إليّ رسول الله ﷺ وقد علا نفسي، فقال: مالك؟ فكرهت أن أخبره بالذي كان مني حتى أقسم عليّ،

فحدثته، فقال: كلا والله، هذه ليلة يعتق الله فيها من النار أكثر من عدد شعر غنم كلب، ويطلع الله فيها إلى أهل الأرض فيغفر فيها لمن يشاء إلا أنه لا يغفر لمشرك ولا لمشاحن، وتلك ليلة النصف من شعبان».

التحقيق

قال ابن الجوزي في «العلل المتناهية» (٢/٥٥٩) (ح٩١٩): «تفرد به عطاء بن عجلان، قال يحيى: ليس بشيء كذاب كان يوضع له الحديث فيحدث به، وقال الرازي: متروك الحديث، وقال ابن حبان: يروي الموضوعات عن الثقات، لا يحل كتب حديثه إلا على جهة الاعتبار».

قلت: هذه هي جميع طرق القصة تزيد القصة وهنًا على وهن.

لذلك قال الإمام ابن الصلاح في «علوم الحديث» (ص١٠٧): «لعل الباحث الفَهِم يقول: إنا نجد أحاديث محكومًا بضعفها مع كونها قد رُويت بأسانيد كثيرة من وجوه عديدة.

وجواب ذلك أن ليس كل ضعف في الحديث يزول بمجيئه من وجوه، بل يتفاوت. ومن ذلك ضعف لا يزول بنحو ذلك لقوة الضعف، وتقاعد هذا الجابر عن جبره ومقاومته، وذلك كالضعف الذي ينشأ من كون الراوي متهمًا بالكذب أو كون الحديث شاذًا. وهذه جملة؛ تفاصيلها تدرك بالمباشرة والبحث، فاعلم ذلك فإنه من النفائس العزيزة، والله أعلم». اهـ.

١- البديل الصحيح لهذه القصة

قلت: إن البديل الصحيح لهذه القصة لم يذكر فيه ليلة النصف من شعبان؛ فقد أخرجه الإمام مسلم في «صحيحه» (ح٩٧٤) كتاب «الجنائز» (ح١٠٣) باب: «خروجه ﷺ ليلاً إلى أحد المقابر والدعاء لأهلها» حيث قال: «حدثني هارون بن سعيد الأيلي، حدثنا عبد الله بن وهب، أخبرنا ابن جريج عن عبد الله بن كثير بن المطلب أنه سمع محمد بن قيس يقول: سمعت عائشة تحدث فقالت: ألا أحدثكم عن النبي ﷺ وعني، قلنا: بلى ح وحدثني من سمع حجاجًا الأعور واللفظ له قال: حدثنا حجاج بن محمد، حدثنا ابن جريج، أخبرني عبد الله رجل من قريش عن محمد بن قيس بن مخرمة بن المطلب أنه قال يومًا: ألا أحدثكم عني وعن أمي. قال: فظننا أنه يريد أمه التي ولدته. قال: قالت عائشة: ألا أحدثكم عني وعن رسول الله ﷺ. قلنا: بلى. قالت: لما كانت ليلتي التي كان النبي ﷺ فيها عندي، انقلب فوضع رداءه وخلع نعليه فوضعهما عند رجليه، وبسط طرف إزاره على فراشه، فاضطجع فلم يلبث إلا ريثما ظن أن قد رقدت، فأخذ رداءه رويدًا، وانتقل رويدًا، وفتح الباب، وخرج ثم أجافه رويدًا، فجعلت درعي في رأسي واختمرت وتقنعت إزاري، ثم انطلقت على إثره حتى جاء البقيع فقام فأطال القيام، ثم رفع يديه ثلاث مرات، ثم انحرف فانحرفت، فأسرع فأسرعت، فهرول فهرولت، فأحضر فأحضرت فسبقته فدخلت، فليس إلا أن اضطجعت، فدخل فقال: ما لك عائشة، حشيا رابية. قالت: قلت: لا شيء، قال: لتخبرني، أو ليخبرني اللطيف الخبير. قالت: قلت: يا رسول الله، بأبي أنت وأمي، فأخبرته، قال: فأنت السواد الذي رأيت أمامي. قلت: نعم، فلهدني في صدري لهدة أوجعتني، ثم قال: أظننتِ أن يحيف الله عليك ورسوله، قالت: مهما يكتم الناس يعلمه الله، نعم. قال: فإن جبريل أتاني حين رأيت فناداني، فأخفاه منك فأجبته فأخفيته منك ولم يكن يدخل عليكِ وقد وضعت ثيابك وظننت أن قد رقدت، فكرهت أن أوقظك وخشيت أن تستوحشي، فقال: إن ربك يأمرك أن تأتي أهل البقيع فتستغفر لهم. قالت: قلت: كيف أقول لهم يا رسول الله؟ قال: قولي: السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين، وإنا إن شاء الله بكم للاحقون».

والحديث أخرجه كذلك النسائي (٤/٩١) كتاب: الجنائز، باب الأمر بالاستغفار للمؤمنين، وأحمد (٦/٢٢١) (ح٢٥٨٩٧).

٢- بديل صحيح آخر في دعائه ﷺ في السجود ولم يقيد بليلة النصف من شعبان

أخرج مسلم (ح٤٨٦) من حديث أبي هريرة عن عائشة قالت: فقدت رسول الله ﷺ ليلة من الفراش، فالتمسته فوقعت يدي على بطن قدميه وهو في المسجد وهما منصوبتان، وهو يقول: «اللهم أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك لا أحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك».

٣- بديل صحيح آخر في صفة النزول لله تبارك وتعالى

صفة النزول لله تبارك وتعالى لم تقيد بليلة النصف من شعبان، كما في القصة الواهية، بل هي مطلقة في كل الليالي كما ثبت في صحيح السنة.

فقد أخرج البخاري في كتاب «التهجد» (١٩) باب: «الدعاء والصلاة في آخر الليل» (١٤)، ومسلم (ح٧٥٨) كتاب: «صلاة المسافرين» (ح١٦٨) باب: «الترغيب في الدعاء والذكر آخر الليل» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، يقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له».

قلت: هذا ما وفقني الله إليه، وهو وحده من وراء القصد.

هامش

(١) يعني محمد بن إسماعيل البخاري.

عظات وعبر

كتبه: صلاح عبد المعبود

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده... وبعد:

فلقد اشتغل الدارسون في علوم الحياة وبحثوا كثيرًا في خلق الإنسان وتوصلوا نتيجة لأبحاثهم بعد سنين طوال إلى أن تكاثر البشر قد نتج عن اتحاد عامل الذكر مع عامل الأنثى، فكان منها بويضة مخصبة مرت بمراحل وأدوار عديدة، إلى أن أصبحت جنينًا يخرج بعد ذلك طفلاً إلى العالم الخارجي ذكرًا كان أو أنثى، وعوامل الذكر هذه مادة لزجة القوام ذات رائحة كريهة تعافها النفس، أثبت الخبراء أنها تحتوي على آلاف الآلاف من الحيوانات المنوية في كل سنتيمتر مكعب منها، وعندما تقذف في الرحم تحصل بويضة واحدة على أحد هذه الحيوانات فينتج عنهما الإنسان.

وكتاب الله تعالى حدثنا بهذا قبل أربعة عشر قرنًا، فقال جل شأنه: ﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ. فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ. إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ [المرسلات: ٢٠- ٢٢]، وقال أيضًا: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [الإنسان: ١، ٢]، والأمشاج هنا هي الأخلاط، أي باختلاط عامل الذكر والأنثى نتج عنهما الإنسان الذي خلق في أحسن تقويم ﴿سَمِيعًا بَصِيرًا﴾، هذا هو الإنسان، وقد خلق على أتم صورة من الدقة المتناهية، ومع هذا فهو يجادل ويخاصم ويبلغ به العناد أن يخرج عن طوره المألوف، فهذا أحد المعاندين من رؤوس الشرك يأتي رسول الله ﷺ وبيده عظم يفته بيديه، فيقول: يا محمد، أترى أن الله يحيي هذا بعدما رم، فيجيبه الرسول الأكرم ﷺ إجابة المؤمن الواثق بربه وقدرته: «ونعم ويبعثك ويدخلك النار».

نعم هذا هو جزاء المعاندين المتكبرين الذين لا يؤمنون بيوم الحساب، فمن الذي أعلم محمدًا ﷺ بما أثبته الباحثون الدارسون في الوقت الحاضر، لا شك أن الذي أخبره بذلك هو الله الذي خلق هذا الكون وما فيه جلت قدرته سبحانه وتعالى.

يأتي المعاند ليفصح عما يجول بخاطره وما تحدثه به نفسه وهو سؤاله وكأنه يستنكر كيف تعود الحياة بهذا العظم بعد أن تفتت وأصبح هشيمًا، عند ذاك أجابه العلي القدير: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ. قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس: ٧٨، ٧٩].

فيا أخي في الله، لا تغرنك الحياة الدنيا ولا يغرنك بالله الغرور، فالحياة عمرها قصير وهي زائلة لا محالة في يوم من الأيام: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨].

وانظر أخي في الله إلى ذلك المغرور المكابر الذي نادى قومه بقوله: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ [القصص: ٣٨]، وما كان له من فئة ينصرونه من أمر الله بعد أن كانت عاقبته الغرق في البحر، ثم امتلأت جثته بالماء وطافت ليشهدها الناس: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً﴾ [يونس: ٩٢].

فلا أفلح من ملك الكنوز، ولا نجا من قال: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى﴾، ذلك لأنهما خرجا عن أمر الله وتنكبا سنته في خلقه.

فالحذر أخي في الله من أن تزل فتشقى، فالله تعالى أراد لك الخير وهو اللطيف بعباده، استن لك سننًا تسير عليها، فإذا تنكبت عن شرعة الله واتبعت ما تمليه عليك الأهواء وما يزينه لك الشيطان كانت عاقبة أمرك خسرًا.

أخي في الله.. هدانا الله وإياك إلى طريق السعادة وألهمنا الرشد وجنبنا الزلل، كن على حذر من نفسك، فإنها أعدى أعدائك، وهي تزين لك قبيح الأفعال، فخالفها دومًا واتبع سبيل الرشاد الذي أمرك الله به، تأمل في نفسك كثيرًا، وإذا أعياك الأمر تذكر أولئك الذين خلوا من قبلك ماذا عملوا وماذا كانت نتيجة من عمل منهم سوءًا وكيف كانت عاقبته وبماذا يتحدث التاريخ عنه.

أخي في الله... حشرنا الله وإياك في زمرة عباده الصالحين، اعلم يقينًا أن خير الناس أنفعهم للناس، كما أشار إلى ذلك رسول الله ﷺ، فامش في قضاء مصالح إخوانك وواسهم في النكبات، وابذل جهدك في تفريج الكربات عنهم، فمن فرج عن مؤمن كربة، فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، وأنت إذا فعلت ذلك فاحمد الله تعالى الذي جعلك في هذه المنزلة، وهي التي يرفع الله بها درجاتك في الآخرة وستعيش سعيدًا في هذه الدنيا، وتشعر بسعادة لا يشعر بها من حرم هذه النعمة.

أخي في الله.. أدخلني الله وإياك في مستقر رحمته، تذكر هذا وافهم جيدًا وكن من الطالبين له قبل أن يأتي يوم لا ينفع فيه الندم: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ. لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلاَّ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا﴾ [المؤمنون: ٩٩، ١٠٠]، تذكر اليوم الذي يتطلع فيه العارفون إلى وجه ربهم الكريم فيحشرون تحت ظله يوم لا ظل إلا ظله.

فلا تركن إلى الدنيا وتجعل من المال والجاه المسيطرين على قلبك، واعلم أن الدنيا مزرعة الآخرة، وأن من زرع حصد، فازرع الخير تنل الخير من رب العالمين.

والله من وراء القصد.

التوسل بين أهل السنة ومخالفيهم

الحلقة الثالثة

بقلم معاوية محمد هيكل

دفع شبهة قياس الخالق على المخلوق

وقد تولى رد هذه الشبهة ودفعها الشيخ الألباني رحمه الله بكلام رائع حسن، سد به كل المنافذ والطرق على المخالف، فلم يجد أمامه إلا الإذعان لسطوع الدليل والبرهان، وهاك البيان:

يقول المخالفون: إن التوسل بذوات الصالحين وأقدارهم أمر مطلوب وجائز؛ لأنه مبني على منطق الواقع ومتطلباته، ذلك أن أحدنا إذا كانت له حاجة عند ملك أو وزير أو مسئول كبير فهو لا يذهب إليه مباشرة، لأنه يشعر أنه ربما لا يلتفت إليه، هذا إذا لم يرده أصلا، ولذلك كان من الطبيعي إذا أردنا حاجة من كبير فإننا نبحث عمن يعرفه، ويكون مقربًا إليه أثيرًا عنده، ونجعله واسطة بيننا وبينه، فإذا فعلنا ذلك استجاب لنا، وقضيت حاجتنا، وهكذا الأمر نفسه في علاقتنا بالله سبحانه- بزعمهم- فالله عز وجل عظيم العظماء، وكبير الكبراء، ونحن مذنبون عصاة، وبعيدون لذلك عن جناب الله، ليس من اللائق بنا أن ندعوه مباشرة، لأننا إن فعلنا ذلك خفنا أن يردنا على أعقابنا خائبين، أو لا يلتفت إلينا فنرجع بخفي حنين، وهناك ناس صالحون كالأنبياء والرسل والشهداء قريبون إليه سبحانه، يستجيب لهم إذا دعوه، ويقبل شفاعتهم إذا شفعوا لديه، أفلا يكون الأولى بنا والأحرى أن نتوسل إليه بجاههم، ونقدم بين يدي دعائنا ذكرهم، عسى أن ينظر الله تعالى إلينا إكرامًا لهم، ويجيب دعاءنا مراعاة لخاطرهم، فلماذا تمنعون هذا النوع من التوسل، والبشر يستعملونه فيما بينهم، فلم لا يستعملونه مع ربهم ومعبودهم؟

ونقول جوابًا على هذه الشبهة: إنكم يا هؤلاء إذن تقيسون الخالق على المخلوق، وتشبهون قيوم السماوات والأرض، أحكم الحاكمين، وأعدل العادلين، الرءوف الرحيم بأولئك الحكام الظالمين، والمتسلطين المتجبرين الذين لا يأبهون لمصالح الرعية، ويجعلون بينهم وبين الرعية حجبًا وأستارًا، فلا يمكنها أن تصل إليهم إلا بوسائط ووسائل، ترضي هذه الوسائط بالرشاوى والهبات، وتخضع لها وتتذلل، وتترضاها وتتقرب إليها، فهل خطر ببالكم أيها المساكين أنكم حين تفعلون ذلك تذمون ربكم، وتطعنون به، وتؤذونه، وتصفونه بما يمقته وما يكرهه؟

هل خطر ببالكم أنكم تصفون الله تعالى بأبشع الصفات حين تقيسونه على الحكام الظلمة، والمتسلطين الفجرة، فكيف يسوغ هذا لكم دينكم، وكيف يتفق هذا مع ما يجب عليكم من تعظيمكم لربكم، وتمجيدكم لخالقكم؟

ترى لو كان يمكن لأحد الناس أن يخاطب الحاكم وجهًا لوجه، ويكلمه دون واسطة أو حجاب أيكون ذلك أكمل وأمدح له، أم حين لا يتمكن من مخاطبته إلا من خلال وسائط قد تطول وقد تقصر؟

يا هؤلاء إنكم تفخرون في أحاديثكم بعمر بن الخطاب رضي الله عنه وتمجدونه وتشيدون به وتبينون للناس أنه كان متواضعًا لا يتكبر ولا يتجبر، وكان قريبًا من الناس يتمكن أضعفهم من لقائه ومخاطبته، وأنه كان يأتيه الأعرابي الجاهل الفظ من البادية، فيكلمه دون واسطة أو حجاب، فينظر في حاجته ويقضيها له إن كانت حقًا، ترى هل هذا النوع من الحكام خير وأفضل، أم ذلك النوع الذي تضربون لربكم به الأمثال؟

فما لكم كيف تحكمون؟ وما لعقولكم أين ذهبت، وما لتفكيركم أين غاب، وكيف ساغ لكم تشبيه الله تعالى بالملك الظالم، أم كيف غطى عنكم الشيطان بشاعة قياس الله سبحانه على الأمير الغاشم؟

يا هؤلاء إنكم لو شبهتم الله بأعدل الناس وأتقى الناس وأصلح الناس لكفرتم، فكيف وقد شبهتموه سبحانه بأظلم الناس وأفجر الناس وأخبث الناس؟

يا هؤلاء، إنكم لو قستم ربكم الجليل على عمر بن الخطاب التقي العادل لوقعتم في الشرك، فكيف تردى بكم الشيطان، فلم ترضوا بذلك حتى أوقعكم في قياس ربكم على أهل الجور والفساد من الملوك والأمراء والوزراء؟

إن تشبيه الله تعالى بخلقه كفر كله حذر منه سبحانه حيث قال: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ شَيْئًا وَلاَ يَسْتَطِيعُونَ. فَلاَ تَضْرِبُوا لِلَّهِ الأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٧٣، ٧٤].

كما نفى سبحانه أي مشابهة بينه وبين أي خلق من مخلوقاته، فقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]. ولكن شر تشبيه أن يشبه المرء بالأشرار والفجار والفساق من الولاة، وهو يظن أنه يحسن صنعًا! إن هذا هو الذي يحمل بعض العلماء والمحققين على المبالغة في إنكار التوسل بذوات الأنبياء، واعتباره شركًا، وإن كان هو في نفسه ليس شركًا عندنا، بل يخشى أن يؤدي إلى الشرك، وقد أدى فعلا بأولئك الذين يعتذرون لتوسلهم بذلك التشبيه السابق الذي هو الكفر بعينه لو كانوا يعلمون.

ومن هنا يتبين أن قول بعض الدعاة الإسلاميين اليوم في الأصل الخامس عشر من أصوله العشرين: «والدعاء إذا قُرن بالتوسل إلى الله بأحد من خلقه خلاف فرعي في كيفية الدعاء، وليس من مسائل العقيدة» ليس صحيحًا على إطلاقه لما علمت أن في الواقع ما يشهد بأنه خلاف جوهري، إذ فيه شرك صريح كما سبق، ولعل مثل هذا القول الذي يهون من أمر هذا الانحراف هو أحد الأسباب التي تدفع بالكثيرين إلى عدم البحث فيه، وتحقيق الصواب في أمره، مما يؤدي في نهاية المطاف إلى استمرار المبتدعين في بدعهم، واستفحال خطرها بينهم، ولذلك قال الإمام العز بن عبد السلام في رسالة «الواسطة» (ص٥): «ومن أثبت الأنبياء من مشايخ العلم والدين وسائط بين الله وبين خلقه كالحُجّاب الذين بين الملك ورعيته، بحيث يكونون هم يرفعون إلى الله تعالى حوائج خلقه، وأن الله تعالى إنما يهدي عباده ويرزقهم وينصرهم بتوسطهم، بمعنى أن الخلق يسألونهم، وهم يسألون الله كما أن الوسائط عند الملوك يسألون الملك حوائج الناس لقربهم منهم، والناس يسألونهم أدبًا منهم أن يباشروا سؤال الملك، ولأن طلبهم من الوسائط أنفع لهم من طلبهم من الملك، لكونهم أقرب إلى الملك من الطالب، فمن أثبتهم وسائط على هذا الوجه فهو كافر مشرك يجب أن يستتاب، فإن تاب وإلا قتل، وهؤلاء مشبهون لله، شبهوا الخالق بالمخلوق، وجعلوا لله أندادًا» اهـ.

وللحديث بقية

توحيد الأسم

معناه- قواعده- آراء فرق الضلال في هذا القسم من التوحيد

الحلقة الأولى

١- معناه:

هو إثبات ما أثبته الله تعالى أو أثبته له رسوله ﷺ من الأسماء والصفات من غير تمثيل، ولا تكييف، ولا تحريف، ولا تعطيل.

وهذا الباب الخطير من التوحيد قد ضلت فيه أفهام وزلت به أقدام.

وهذا الباب المهم جدًا يخفى على الكثير من المسلمين اليوم، فنجد منهج الأشاعرة يسيطر على كتب جامعات المسلمين ومعاهدهم إلا القليل منهم اليوم، فيشيع منها تأويل الصفات تارة، وتحريفها تارة، وتعطيلها تارة، وصرفها عن مقصود رب العالمين تارة، لذلك يقول الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: نؤمن بما قال الله على مراد الله، ونؤمن بما قال رسول الله ﷺ على مراد رسول الله ﷺ.

٢- قواعد توحيد الأسماء والصفات عند أهل السنة والجماعة:

القاعدة الأولى:

أن الله عز وجل له أسماء وصفات، أثبتها لنفسه، وأثبتها له نبيه ﷺ، وآمن بها المؤمنون، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

وقال جل شأنه: ﴿اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه: ٨].

ومن حديث أبي هريرة رضي الله عنه الذي رواه البخاري في صحيحه: قال رسول الله ﷺ: «إن لله تسعة وتسعين اسمًا، مائة إلا واحدًا، من أحصاها دخل الجنة».

ـاء والصفات

إعداد: أسامة سليمان

القاعدة الثانية:

أن أسماء الله عز وجل ليست منحصرة في التسعة والتسعين اسمًا، ولكن لا يعلم عددها إلا الله، فلا يعلمها نبي مرسل، ولا ملك مقرب، ففي حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أصاب أحد قط هم ولا حزن فقال: اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماض في حكمك، عدل في قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو علمته أحدًا من خلقك، أو استأثرت بها في علم الغيب عندك».

ففي هذا الحديث دليل على أن هناك أسماء استأثر بها الله في علم الغيب عنده لا يعلمها نبي مرسل ولا ملك مقرب ولكن هذه التسعة والتسعين اسمًا فضلها على سائر الأسماء، أن من أحصاها دخل الجنة، كأن تقول: «عندي تسعة وتسعون من الإبل صفاتها كذا وكذا».

هذا لا ينفي أن عندك إبلاً أخرى، فما قال أحد بالحصر بهذا العدد وكل الأحاديث التي جاءت في بيان التسعة والتسعين ضعيفة.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى المجلد السادس عن تعيينها: «تعيينها ليس من كلام النبي ﷺ باتفاق أهل المعرفة بحديثه». وابن حجر عدد التسعة والتسعين، والقرطبي خالفه فاختلفوا في تحديدها، لكن ليس هناك حديث يبين التسعة والتسعين اسمًا وكل ما ورد في تعيينها ضعيف.

القاعدة الثالثة:

إن من أسماء الله عز وجل ما لا يطلق عليه سبحانه إلا مقترنًا بمقابله لأنه إذا أطلق من غير اقتران أوهم النقص، ومن أمثلة ذلك المانع فلا يطلق إلا مقترنًا بالمعطي، كذلك الضار لا يطلق إلا مقترنًا بالنافع، وكذلك القابض لا يطلق إلا مقترنًا بالباسط، وكذلك المذل لا يطلق إلا مقترنًا بالمعز، ولكن يصح أن نقول المعطي بدون اقتران؛ لأنه لا يوهم النقص.

القاعدة الرابعة:

أن دلالة أسماء الله عز وجل حق على حقيقتها مطابقة وتضمنًا والتزامًا، فاسم الرحمن يدل على ذاته سبحانه مطابقة، وعلى صفة الرحمة تضمنًا وعلى صفة الحياة مع باقي الصفات التزامًا، فكل صفة من صفات الله تدل على ذات الله مطابقة وعلى نفسها بالتضمن وعلى غيرها من الصفات بالالتزام، فاسم السميع يدل على ذات الله مطابقة وعلى صفة السمع تضمنًا، وعلى صفة العلم والإحاطة وغيرها من الصفات التزامًا، وهكذا في بقية أسماء الله عز وجل.

القاعدة الخامسة

أسماء الله غير مخلوقة ولا تقاس بأسماء الخلق؛ لأن أسماء الخلق مخلوقة وليست أسماؤهم نفس صفاتهم، بل قد تكون مخالفة لصفاتهم، فقد يسمى الإنسان كريمًا وهو لئيم، وصالحًا وهو طالح، وحكيمًا وهو جاهل.

ولكن الحق تبارك وتعالى له أسماء الجلال وصفات الكمال ليس شيء من أسمائه مخالفًا لصفاته وليس شيء من صفاته مخالفًا لأسمائه، ومن ادعى أن صفة من صفات الله مخلوقة أو مستعارة فقد كفر وفجر؛ لأن معنى أن الصفة مخلوقة أنها كانت عدمًا ثم وجدت، ومآلها إلى الفناء، فمعنى أن القرآن مخلوق، أن الله كان لا يتكلم ثم تكلم، وهذه الصفة ستنتهي إلى الفناء، سبحانه وتعالى عما يقولون علوًا كبيرًا.

القاعدة السادسة

قد ورد في القرآن الكريم أفعال أطلقها الله على نفسه على سبيل الجزاء والعدل والمقابلة ولا يجوز أن يشتق منها أسماء له.

كقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢]، فلا يجوز أن تقول إن الله خادع فهذا سوء أدب وعدم معرفة بقواعد الأسماء والصفات لأنها جاءت في سياق الجزاء والانتقام من المنافقين، وكقول الله تعالى: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٥٤]، فلا ينبغي أن نقول إن الله ماكر، فهذا سوء أدب مع الله،

وكذلك في قول الله تعالى: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة: ١٥]، فلا يجوز أن نقول إن الله مستهزئ؛ لأنها جاءت في سياق المقابلة والجزاء والعدل.

القاعدة السابعة:

التمسك بالأسس الثلاثة التي عليها منهج السلف في الأسماء والصفات.

لقد ذكر العلامة محمد أمين الشنقيطي رحمه الله في كتابه القيم «الأسماء والصفات» أسسًا ثلاثة عليها منهج السلف في توحيد الأسماء والصفات:

الأساس الأول: تنزيه الله عز وجل عن أن تشبه صفة من صفاته شيئًا من صفات المخلوقين: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

الأساس الثاني: الإيمان بما وصف الله به نفسه؛ لأنه لا يصف الله أعلم بالله من الله: ﴿أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾ [البقرة: ١٤٠]، والإيمان بما وصفه به رسول الله ﷺ لأنه لا ينطق عن الهوى.

الأساس الثالث: قطع الطمع عن إدراك كيفية ذات الله عز وجل: ﴿وَلاَ يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠].

القاعدة الثامنة:

أسماء الله عز وجل توقيفية لا مجال للعقل فيها.

وعلى ذلك يجب الالتزام بما ورد في الكتاب والسنة، فلا يزاد فيها ولا ينقص ﴿وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً﴾ [الإسراء: ٣٦]، ولا نثبت لله ما لم يثبته لنفسه أو لم يثبته له رسوله ﷺ.

القاعدة التاسعة

وجوب الإيمان بجميع آيات الأسماء والصفات وأحاديثها من غير تحريف لألفاظها أو معانيها أو تعطيل أو تكييف أو تمثيل، فذلك عقيدة السلف الصالح، وإليك بيان مجملها:

أولاً: الإيمان بها من غير تحريف لألفاظها أو معانيها:

والتحريف اللفظي: أن نحرف لفظ الكلمة ونغير من موقعها الإعرابي لهوى في النفس، كما فعل الجهم بن صفوان عندما قرأ قول الله عز وجل: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾، فنصب لفظ الجلالة ليوافق هوًى في نفسه، ولكنه اصطدم بقول الله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾، فلم يدر ما يفعل.

التحريف المعنوي:

المقصود به صرف الصفة عن مرادها كتأويلهم «لنفسه بـ الغير» «واصطنعتك لنفسي» قالوا: أي اصطنعتك لغيري، وكتأويلهم لقول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ أولوا كلمة إلى بـ النعمة، فقالوا: وجوه يومئذ ناضرة نعمة ربها منتظرة وتأويلهم صفة اليد بـ «القدرة» ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ أي: قدرته، وهذا باطل؛ لأن معنى ذلك إثبات أن لله قدرتين؛ لقول الله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ إذن تكون بل قدرتاه، وهذا باطل.

ثانيًا: نؤمن بها من غير تعطيل؛ أي لا ننفي ولا نعطل ما اقتضته هذه الأسماء لله عز وجل كصفة الكلام والمجيء والسمع والبصر.

ثالثًا: نؤمن بها من غير تكييف؛ فلا ندعي كيفية لصفة من صفاته، فهذا غلو وافتراء، وإنما نؤمن بعقيدة السلف، كما قال الإمام مالك: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة.

رابعًا: نؤمن بها من غير تمثيل؛ أي من غير تشبيه شيء من صفات الله بصفات خلقه، فهو منزه في أسمائه وصفاته.

القاعدة العاشرة

ينقسم الإلحاد في أسماء الله وصفاته إلى ثلاثة أقسام:

الأول: إلحاد المشركين:

حيث عدلوا بأسماء الله فسموا بها الأوثان وزادوا ونقصوا فاشتقوا اللات من الله والعزى من العزيز ومناة من المنان.

الثاني: إلحاد المشبهة؛ الذين يكيفونها ويشبهونها بصفات خلقه.

ثالثًا: إلحاد النفاة؛ وهو قسمان: قسم أثبت الأسماء دون ما تضمنته من صفات، فقالوا: رحمن بلا رحمة، عليم بلا علم، حليم بلا حلم، سميع بلا سمع، وقسم لم يكتف بذلك، بل نفوا الأسماء وما تضمنته من معان، وهذا كفر باتفاق.

وللحديث بقية إن شاء الله.

جماعة أنصار السنة المحمدية

تأسست عام ١٣٤٥ هـ - ١٩٢٦ م

١ - الدعوة إلى التوحيد الخالص المطهر من جميع الشوائب. وإلى حب الله تعالى حباً صحيحًا صادقاً يتمثل فى طاعته وتقواه، وحب رسول الله ﷺ حباً صحيحاً صادقاً يتمثل فى الاقتداء به واتخاذه أسوة حسنة.

* * *

٢ - الدعوة إلى أخذ الدين من نبعيه الصافيَيْن - القرآن والسنة الصحيحة - ومجانبة البدع والخرافات ومحدثات الأمور.

* * *

٣ - الدعوة إلى ربط الدنيا بالدين بأوثق رباط - عقيدة وعملاً وخلقاً.

* * *

٤ - الدعوة إلى إقامة المجتمع المسلم والحكم بما أنزل الله فكل مُشرِّع غيره - في أي شأن من شئون الحياة - معتدٍ عليه سبحانه ، منازعٌ إياه في حقوقه.

* * *

تُلقَى بدار المركز العام للجماعة محاضرات دينية يومياً عقب صلاة المغرب.

«شكر وتقدير»

تتقدم جماعة أنصار السنة المحمدية بخالص الشكر والتقدير والعرفان إلى كل من شارك بالمواساة في وفاة الرئيس العام رحمه الله الشيخ محمد صفوت نور الدين وتخص بالشكر أصحاب الفخامة والمعالي والسمو:

فخامة الرئيس **محمد حسني مبارك** - حفظه الله -

خادم الحرمين الشريفين **الملك فهد بن عبد العزيز** - حفظه الله -

صاحب السمو الملكي **ولي عهد** المملكة العربية السعودية - حفظه الله -

الدكتور **أحمد فتحي سرور** رئيس مجلس الشعب المصري.

الدكتور **مصطفى كمال حلمي** رئيس مجلس الشورى المصري.

الدكتور **محمد سيد طنطاوي** شيخ الأزهر.

الدكتور **صالح بن حميد** إمام الحرم ورئيس مجلس الشورى بالمملكة العربية السعودية.

أ. د. **محمود زقزوق** وزير الأوقاف المصري

أ. د. **أحمد الطيب** مفتي الجمهورية.

أ. د. **نصر فريد واصل** مفتي الجمهورية السابق.

وزير الأوقاف والشئون الإسلامية بقطر.

الشيخ / محمد بن عبد الله السبيل - إمام وخطيب المسجد الحرام، وعضو هيئة كبار العلماء.

الشيخ / محمد عبد اللطيف المانع - مدير مكتب وزير الأوقاف والشئون الإسلامية بقطر.

الشيخ / علي بن عبد الله السويدي - المدير العام لمؤسسة الشيخ/ عيد بن محمد الثاني الخيرية بقطر.

د/ حمدي المرسي - مدير مكتب الندوة العالمية للشباب الإسلامي.

الشيخ / محمود بن رضا مراد - رئيس جمعية القرآن والسنة بأمريكا الشمالية سابقًا.

الشيخ / مجد الدين عوض السيد - مدير مكتب منظمة الدعوة الإسلامية بالقاهرة.

الشيخ / علي أحمد عبد العال الطهطاوي - رئيس جمعية أهل القرآن والسنة بالجيزة.

د/ عبد الله شاكر الجنيدى.

محمد عوض عبد الغني - الإسكندرية

أ. ابراهيم رفعت أبو موتة

د/ سيد حسين عفانى

د/ محمد إسماعيل المقدم.

محمد عمر القاضي.

مسعود السبحي.

عبد الكريم عمار - وأحمد عبد الكريم.

أ. عبد الرزاق السيد عيد

وجماعة أنصار السنة المحمدية تدعوا الله العلي القدير أن يجزيهم خير الجزاء وأن يلهمنا الصبر والمغفرة.